# (٩١) سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة

سورة الشمس مكية ، وقد تناولت موضوعين اثنين وهما : ١ – موضوع النفس الإنسانية ، وما جبلها الله عليه من الخير والشر ، والهدى والضلال . ٢ – وموضوع الطغيان ممثلاً في « ثمود » الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمرهم .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا ، فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع ، وبالقمر إذا أعقبها وهو طالع ، ثم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه ، وبالليل إذا اغطَّى الكائنات بظلامه ، ثم بالقادر الذي أحكم بناء السماء بلا عمد ، وبالأرض الذي بسطها على ماء جمدٍ ، وبالنفس البشرية التي كمَّلها الله وزينها بالفضائل والكمالات ، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله ، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد .

● **ثم ذكر** تعالى قصة « ثمود » قوم صالح حين كذبوا رسولهم ، ، وطَغَوا وبغوا في الأرض ، وعقروا الناقة التي خلقها الله تعالى من صخر أصم معجزةً لرسوله صالح عليه السلام ، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع الذي بقي عبرةً لمن يعتبر ، وهو نموذج لكل كافر فاجرٍ مكذب لرسل الله .

● **وقد ختمت** السورة الكريمة بأنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكهم وتدميرهم ، لأنه « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الشمس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [١]**

قوله عز وجل:[2] **والشمس وضحاها**، قالوا: تأويله: والشمس[3] وَضَوْئِها، وقيل: وحرها،[4] وقيل: ونهارِها. وهذا في موضع[5] القسم، وذلك لأن الله تعالى جعل في الشمس معانيَ تدلّ[6] على لطائف حكمته وعجائب[7] تدبيره، وجعلَها[8] في النهاية[9] من البركات وفي النهاية[10] من الآيات.

فمن عجيب تدبيره أنه جعل نورها بحيث يُهلِك نور الظلّ حتى إذا بدت[11] في مكان أذهبت[12] نورَ الظل ونور السراج ونور القمر، وسَتَرَ نورُها الكواكب عن أن تُرى،[13]

---

[1] ر – سورة الشمس؛ ن م: سورة والشمس وضحاها؛ ث + وهي خمس وعشر آيات مكية.
[2] ن – قوله عز وجل؛ م: وقوله عز وجل.
[3] ن: الشمس.
[4] ر م: وجرها.
[5] م: وهذا موضع.
[6] ر ث: يدل.
[7] ن: وعجيب.
[8] ث: وجعل.
[9] ر: تدبيره في جعل النهاية؛ م: وجعل في النهار.
[10] ر م: وفي النهارية.
[11] ر م: حتى إذا بدأت.
[12] ن: أذهب.
[13] جميع النسخ: عن أن يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

وجعلها بحيث يظهر بها هباءُ الهواء؛ فتبين[1] أن الهواء ذو هباء.[2] ألا ترى أنك إذا نظرت في المشكاة[3] حين سقوط[4] الشمس فيها تبيّن لك بها هباء الهواء.[5] ولو أراد أحد من الخلائق أن يتدارك المعنى الذي به استنارت هذه الشمس[6] كلَّ هذا[7] لم يقف عليه؟

ثم من بركتها[8] أنَّ بحرارتها مصالحَ الأغذية وبها مصالح النبات وبها يُكوِّث[9] الحَبُّ وبها تَنْضَج الفواكه. ومن عجيب تدبيره أنه جعلها بالنَّأْي عن كل شيء له بها صلاح، إذ لو دنت منها لكانت تُحرق الأشياء كلّها.

ومن آياتها أن جُعلت بحيث تسير وتقطع كلّ يوم مسيرة ألف عام ما يتعذر على الذي خُلق للسير والمشي قطعُ تلك المسافة بِمُدَدٍ[10] كثيرة. وهي أيضا تُظهر جودَ الرب –جلّ جلاله– لأن منافعها تعم[11] الخلق كلّهم: بَرَّهم وفاجرَهم والوليَّ منهم والعدوَّ. فأقسم الله بها ليزيل عن الكفرة الشبهة التي تعترض لهم في أمر[12] الدين: إما في التوحيد أو في الرسالة أو في البعث. **والله أعلم**.

**﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾[٢]**

وقوله عز وجل: **والقمر إذا تلاها**، فجائز أن يَتلَوها في كل ما ذكرنا في الشمس من المنافع والمعاني؛ فيكون ثانيها[13] في العمل فإنه يقع به صلاح الأغذية أيضا، وهو ينير[14] أيضا[15] إلا أنه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ[16] مبلغها. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: فبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[2] ر م: إذا هباء؛ ن ث: ذا هباء. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر: في المشكات.
[4] ر م: سقط.
[5] ن: الهوى.
[6] جميع النسخ: استار هذا الشمس.
[7] ر م – هذا.
[8] ر: ثم من يرتكبها؛ ث: ثم من تركها.
[9] جميع النسخ: يكبس. كوَّث الزرعُ تكويثا: إذا صار أربعَ ورقات وخمس ورقات (*لسان العرب*، «كوث»).
[10] ر م: بمدة.
[11] ن: يعم.
[12] جميع النسخ: من أمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.
[13] ن: ثانها.
[14] ر م: وهو يدبر.
[15] ث – وهو ينير أيضا.
[16] ن: ولا مبلغ.

وقال بعضهم: **إذا تلاها**، أي يتلوها في أول ما يَهُلّ، فإنه إذا وجبت الشمس[١] في آخر اليوم من الشهر تلا غروبَها طلوعُ الهلال. وقال[٢] بعضهم: معناه[٣] أنه يتلوها إذا صار بدرا. وفي هذا دلالة أن منشئهما واحد، لأن منافعهما تعمّ[٤] الخلق جميعا، ولو لم يكن مدبرهما[٥] واحدا لكان لا تعمّ،[٦] بل يمنع كلُّ واحد منهما مُنشئه عن إيصال النفع إلى قوم عدوه.

## ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **والنهار إذا جلاها**، يحتمل أوجها.[٧] يحتمل أن يكون النهار جَلَّى الدنيا، ويحتمل أن يكون جلّى الأرض،[٨] ويحتمل أن يكون جلّى الشمس، ويحتمل أن يكون[٩] جلّى[١٠] الأبصارَ بنورها عن ظلمة الليل التي تغشاها.[١١]

## ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **والليل إذا يغشاها**، ينصرف إلى الأوجه التي ذكرنا أيضا، أي يغشى[١٢] الدنيا أو الأرض أو الشمس أو يغشى الأبصار بظلمتها[١٣] عن الخلائق. ***والله أعلم***.

ثم لليل[١٤] والنهار زيادةُ سلطان ليست للشمس ولا للقمر؛[١٥] لأن من سلطان الليل والنهار أنهما[١٦] يُفنيان الآجال ويقطعان الأعمار،[١٧] ولا يتهيأ لأحد الامتناع والتحرز من سلطانهما،

---

[١] وجبت الشمس: أي غابت.
[٢] ر ث م: بلا غروبها طلوع الهلال قال.
[٣] ر ث م – معناه.
[٤] جميع النسخ: لا يعم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[٥] ر: مدبرها.
[٦] جميع النسخ: لا يعم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن + يحتمل أوجها.
[٨] ن ث: بالأرض.
[٩] جميع النسخ – يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: أن يجلي؛ ن: أن تجلي، بغير منقوطة.
[١١] جميع النسخ: يغشاها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر: إذ يغشى.
[١٣] ن: بظلمها.
[١٤] م: ثم الليل.
[١٥] ن: والقمر.
[١٦] ث: إنما.
[١٧] جميع النسخ: الأعمال. والتصحيح من المرجع السابق.

ويتهيأ للخلق دفعُ أذى الشمس والقمر عن أنفسهم بالحيل والأسباب؛ فكان في[1] ذكر الليل والنهار زيادةُ معنى ليس ذلك في ذكر[2] الشمس والقمر.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والسماء وما بناها**، قال الزجاج: **ما**، بمعنى "الذي"،[3] وقد يستعمل في مثله، كقول العرب: سبحان[4] ما سبّحت له السماوات والأرض، أي سبحان[5] الذي سبّحت له [السماوات والأرض].[6] وقال بعضهم: **ما**، هاهنا بمعنى مَنْ[7] كأنه يقول: والسماء ومَنْ بناها. وقال بعضهم: **ما**، هاهنا يجعل الفعل الماضي بمعنى المصدر؛ تقول:[8] أعجبني ما صنعت، أي أعجبني صنعك،[9] فيكون معناه والسماءِ وبنائِها. فإن كان التأويل على الوجهين الأولين رجع[10] القسم إلى الله تعالى: **والسماء**، وإلى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل. وإن كان على التأويل الآخر رجع القسم إلى ما خَلَق وهو السماء، فإن بناء السماء عينها.

وقال أبو بكر الأصم: إن هذه الماآت في قوله: **والسماء وما بناها**، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا،[11] تخرج[12] على التعجيب على شرط التقديم وإن كانت مؤخرة في اللفظ؛ كأنه يقول:[13] / وما السماء؟ ثم أجاب: **بناها** بأن رفع سمكها وسواها[14] ورفعها بغير عمد ترونها.[15] *والله أعلم*. [٩٠٨ظ]

---

[1] ث + ذلك.
[2] ث: ليس في ذلك ذكر.
[3] ن – قال الزجاج ما بمعنى الذي.
[4] ر ث م: سبحن.
[5] ر ث م: سبحن.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ. *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٣٣٢/٥.
[7] ر: مان.
[8] ن: يقول.
[9] ر: صنعتك.
[10] ر م: يرجع.
[11] الآيتان التاليتان.
[12] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[13] ر ث م + الله تعالى.
[14] يقول الله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها﴾ (سورة النازعات، ٢٧/٧٩-٢٨).
[15] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾ (سورة الرعد، ٢/١٣).

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **والأرض وما طحاها**، أي بسطها.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ونفس وما سواها**، قالوا: تسويتها في أن خلقها باليدين والرجلين والعينين ونحوها. فإن كان على هذا فالتسوية يرجع إلى الأغلب لا إلى الجملة؛ إذ ليس لكل نفس هذه الجوارح جملةً، فيكون معناه: أنه سوّى أكثر النفوس بما ذكر من اليدين والرجلين. وذلك جائز في الكلام، وهو كقوله تعالى: وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا،[١] وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا،[٢] ومعناه: أنه جعلها سكنا ومقرا لأكثر الخلائق لا للجملة، وجعلَ النهار لأكثر الخلائق معاشا لا للجملة. *والله أعلم*. وقيل: سوّى جوارحها وأطرافها ما لو لم تكن[٣] له جارحة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان، وهذا أعم[٤] من الأول. ويحتمل **سَوّاها**، على[٥] ما عليه مصلحتها فتملك[٦] التقلّبَ والتعيش ليس على ما عليه سائر الحيوان. ويحتمل وجها آخر، وهو أن يكون قوله: **سواها**، أي جعلها بحيث تحتمل[٧] الكلفة والمحنة، كقوله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[٨] وتُميِّز[٩] بين القبيح والحسن، وتَعرف[١٠] عواقبَ الأمور من الخير والشر.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فألهمها فجورها وتقواها**، هذا[١١] يحتمل أوجها. أحدها أي بيّن لها فجورَها وتقواها وعلّمها. فمن زعم أن المعارف ضرورية خِلقةٍ يحتج بهذه الآية، فيقول: أخبر تعالى أنه علّمها فجورَها وتقواها، وأنه وضع في نفسه ما يعرف به قبحَ كلّ قبيح وحُسنَ كل حَسن.

---

[١] سورة الأنعام، ٦/٩٦.
[٢] سورة النبأ، ٧٨/١١.
[٣] جميع النسخ: ما لو لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥ظ.
[٤] ر م: أعمر.
[٥] ر ث م + غير.
[٦] جميع النسخ: ويملك. و*الشرح*: وتملك، ورقة ٣٤٥ظ.
[٧] جميع النسخ: احتمال.
[٨] سورة القصص، ٢٨/١٤.
[٩] جميع النسخ: ويميز.
[١٠] جميع النسخ: ويعرف.
[١١] ر ث م: وهذا.

والأصل فيه عندنا أنه يُعرف حسن الأشياء وقبحُها جملةً ببداية العقول، ولكن العقول لا تعرف حسن كلِّ شيء على الإشارة إليه ولا قبحَ كلِّ قبيح على الإشارة إليه، وإنما يُعرَف ذلك إما بخبر يَرِد على ألسُن الرسل عليهم السلام أو باستعمال الفكر. ألا ترى أنك تجد النفس من طبعها أنها تألَف الملاذَّ والمنافع وتَنفِر[1] عن المكاره والآلام، ولكنها لا تعرف[2] معرفة كلِّ مُنْتَفَعٍ على الإشارة إليه ولا مَضرةً[3] أعين الأشياء، وإنما تعرف[4] ذلك بالذوق. وكذلك العين تُدرك[5] الألوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه، بل العقل هو الذي يَفصل بينهما. فعلى ذلك قد جُعل في طبع العقل قبحُ القبائح جملةً وحسن الحسن ولكن لا يَفصل بينهما على الإشارة إلى كل في نفسه إلا بما ذكرنا.[6] فيكون قوله: **فألهمها فجورها وتقواها**، أي جعل في نفسها ما يبيّن القبيح من الحسَن والخبيث من الطيّب ويبيّن قبح الفجور وحسن التقوى؛ فتلزمه[7] المحنة والكلفة بذلك. ثم يصل إلى معرفة ذلك إما بالرسل وإما باستعمال الفكر.

ويحتمل وجها آخر، وهو أن يُلْهِمَها تقواها إذا وَفَى بما لله تعالى عليه من الاستقامة على الطريقة والمجاهدة؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[8] فوعد الهداية بالجهاد، وقال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[9] ثم كانت الإجابة مضمَّنة بشريطة[10] وهي أن يستجيب له الداعي فيما[11] دعاه إليه. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي،[12] وقال تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ،[13]

---

[1] ر ث م: وتنفي.
[2] ر ث م: لا يعرف؛ ن: لا يعلم. والصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦و.
[3] جميع النسخ: ولا ضرارة. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: وإنما يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ث - إلا بما ذكرنا.
[7] جميع النسخ: ويلزمه؛ و*الشرح*: فيلزمه، ورقة ٣٤٦و.
[8] سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩.
[9] ن + فيما دعاه إليه. سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[10] جميع النسخ: شريطة. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: إذا.
[12] سورة البقرة، ١٨٦/٢.
[13] سورة البقرة، ٤٠/٢.

وقال: إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ،[١] الآية.[٢] فثبت أن الذي يُلهَم التقوى هو الذي يقوم بوفاء ما عليه، فإذا قام به ألهمه التقوى وبيّن له سبيلَ الفجور.

وقال أبو بكر الأصمّ في قوله: **فألهمها فجورها وتقواها**، أي ألزمها فجورها وتقواها، فيكون تقواها لها وفجورُها عليها، لا يؤخذ أحد بفجور أحد. وفي هذا دليل على أن التقوى إذا ذكر مفردا انصرف إلى الخيرات أجمعَ، وإذا قُرن به البِرّ والإعطاء انصرف إلى الاتقاء عن المحارم، كقوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى،[٣] وإذا قيل: بَرّ واتقى[٤] أريد به أنه بَرّ بكل ما يُحمَد عليه واتقى عن كلِّ ما يُذَمّ عليه فاعلُه.

## ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٩] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**، فموقعُ ما تقدّم من القسم بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا. فقوله: **قد أفلح من زكاها**، في الآخرة، **وقد خاب من دساها**، في الآخرة؛ فيكون هذا منصرفا إلى الجزاء في الآخرة[٥] على ما يذكر في قوله: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى،[٦] فيكون في هذا إيجابُ القول بالبعث من الوجه الذي نذكره[٧] إن شاء الله تعالى.

ثم اختلفوا في تأويل الفلاح. قال بعضهم: **أفلح**، أي سَعِد، ومنهم من يقول: أي بقي في الخيرات، والفلاح البقاءُ. ومنهم من يقول: **أفلح**، أي فاز، والمُفلِح في الجملة هو الذي يَظفَر بما يَأْمُل وينجو عما يحذر، فيدخل في ذلك السعادة والبقاء والفوزُ.

وقوله: **من زَكّاها**، فجائز أن يكون منصرفا إلى الله تعالى، وجائز أن ينصرف إلى العبد. قال الله تعالى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ،[٨] وقال الله تعالى:[٩] قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ [فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا]،[١٠] فبين الله تعالى

---

[١] سورة المائدة، ١٢/٥.
[٢] ث – الآية.
[٣] سورة الليل، ٥/٩٢.
[٤] ث – وإذا قيل بر واتقى.
[٥] ر ث م – وقد خاب من دساها في الآخرة فيكون هذا منصرفا إلى الجزاء في الآخرة.
[٦] سورة الليل، ٤/٩٢.
[٧] ن: يذكره.
[٨] سورة النور، ٢١/٢٤.
[٩] ر ن ث: وقال تعالى.
[١٠] سورة يونس، ٥٨/١٠.

أنه هو الذي تَفضّل[1] بتزكية من زَكّا. وجائز أن[2] يصرف إلى العبد فيكون[3] قوله: **زكّاها**، أي صاحبُها. وكذلك قوله: **وقد خاب من دَسّاها**، يحتمل هذين الوجهين. فيكون الله تعالى
[٩٠٩و] / هو الذي [أنشأ فعلَ التزكّي و][4] أنشأ فعلَ الضلال؛ فيكون الفعل من حيث الإنشاء عن الله تعالى، ومن حيث الفعلُ من العبد.

ثم قوله: **من دسّاها**، أي أخفاها، وإخفاؤها أنه صيّرها بحيث لا تذكر[5] في المحافل إلا بالذم، وزكّى الآخرُ، أي[6] أظهرها حتى ينظر إليها الناس بعين التبجيل والتعظيم. وهكذا شأن المتقي أن يكون مبجّلا معظّما[7] فيما بين الخلق، والفاجر يعيش مذموما مُهانا فيما بين الخلق. أو يرجع الإظهار والإخفاء إلى الآخرة، فيُجَلّ[8] قدرُ المتقي المزكّى، ويُخمَل ذكرُ الفاجر.

وقوله عز وجل: **دَسّاها**، مِنْ دَسَّسْتُ، فأسقط السين وأبدل مكانها الياءَ.[9] ثم الإضافة في قوله: **دَسّاها**، إلى الله تعالى على خلق ذلك الفعل منه، وفي قوله: **من زكّاها**، على التوفيق.

## ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **كذبت ثمود بطغواها**، ولم يبيّن لمن كذّبوا، وقد بيّنه في آية أخرى، فقال: كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ.[10] وقوله عز وجل: **بطغواها**، يحتمل وجهين. أي لأجل معصيتها وطغيانها؛ إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركُهم التفكرَ في أمره، وإلا لو تفكروا

---

[1] ر ث م: يفضل.
[2] ر م + يكون.
[3] ر م – فيكون.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٦و.
[5] جميع النسخ: لا يذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م – أي.
[7] ن: ومعظما.
[8] ن: فيحل.
[9] وفي التنزيل العزيز: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾؛ يقول: أفلح من جعل نفسه زكية مؤمنة وخابت من دَسَّسها في أهل الخير وليس منهم، وقيل دَسّاها جعلها خسيسة قليلة بالعمل الخبيث. قال ثعلب: سألت ابن الأعرابي عن تفسير قوله تعالى: ﴿وقد خاب من دَسّاها﴾ فقال: معناه من دسّ نَفْسَه مع الصالحين وليس هو منهم. وقال الفراء: خابت نفس دَسّاها الله عز وجل. ويقال: قد خاب من دَسّى نَفْسَه فأخْمَلَها بترك الصدقة والطاعة. قال: ودَسّاها من دَسَّسْتُ، بُدِلَتْ بعض سيناتها ياء كما يقال: تَظَنَّيْتُ من الظَنِّ. قال: ويُرَى أن دَسّاها دَسَّسَها لأن البخيل يُخفي مَنزِله وماله، والسَّخِيُّ يُبرِزُ منزله فينزل على الشَرَفِ من الأرض لئلا يستتر عن الضيفان ومن أراده. ولكل وجه (*لسان العرب*، «دسّ»).
[10] ﴿كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٤١-١٤٢).

فيما جاءهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يجحدون[١] موضع التكذيب. والثاني بأهل طغواها، أي كذّبت ثمود بسبب أهل الطغيان. فيكون في هذه الآية إنباءُ أنهم لم يكذبوا رسولهم بشبهة اعترضت لهم أو بحجة كانت لهم، بل كذّبوه[٢] عن عنادٍ منهم وتيقنٍ منهم برسالته. وذلك أن حجة[٣] نبيهم صالحٍ عليه السلام جاوزت [حقّ][٤] الحجج لأنهم أُوتوا الناقةَ على سؤال سَبَقَ منهم وعلى تَعَدٍّ منهم في السؤال؛ إذ كان لهم أن يطالبوه بالحجج[٥] على دعوى الرسالة ولم يكن لهم أن يَنُصُّوا السؤال على شيء يشيرون[٦] إليه، فهم بإشارتهم إلى سؤال الناقة كانوا معتدين فيه.

ثم من حُكم[٧] الله أن الحجة إذا كانت على أثَر السؤال ثم ظهر التكذيب من السائلين[٨] الاستئصالُ في الدنيا، وقد وُجد من أولئك القوم السؤال والتكذيب فعوقبوا بالاستئصال. قال الله تعالى: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [فَظَلَمُوا بِهَا]،[٩] فبيّن الله تعالى المعنى الذي لم يُرسل الآياتِ التي سألت الكفرةُ[١٠] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو أنهم لو أوتوا[١١] ثم عاندوا[١٢] استُؤْصِلوا؛ فقد أراد الله تعالى[١٣] إبقاء أمته إلى أن تقوم[١٤] الساعة، وأرسله رحمةً للعالمين وجعلَ حجته من وجه فيها رحمةٌ للعالمين، وهي القتال. ووجه الرحمة فيه[١٥] أنهم كانوا يمتنعون عن [الإيمان][١٦]

---

[١] ر ن م: وسلم لم يجحدوا.
[٢] ر م: كانت لهم يكذبوه.
[٣] ر ث م – حجة.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.
[٥] جميع النسخ: بالحجة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن: يشيروه؛ ث: يشيروا.
[٧] جميع النسخ: من حكمة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة الإسراء، ٥٩/١٧.
[١٠] م: سأل الكفرة.
[١١] ر م: لم أوتوا.
[١٢] ن: ثم عندوا.
[١٣] ر: فقد أراد والله تعالى؛ م: فقد أراد والله أعلم.
[١٤] ن: أن يقوم.
[١٥] ر م – فيه.
[١٦] الزيادة من المرجع السابق.

لحبّ الدنيا[1] وشهواتها فكان يمنعهم ذلك عن النظر في حججه وآيات رسالته، وكان في الجهاد ما يُضيِّق[2] عليهم المعاشَ ويضطرّهم إلى النظر في الحجج فيَحملهم ذلك على تصديقه والإيمان به؛ فثبت أنّ في القتال رحمةً عليهم.[3]

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إذ انبعث أشقاها**، أي قام أشقاها وصار أشقاها بما أحدث من الكفر بعَقْر الناقة. وروي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «ألا أُخبرك بأشقى الناس رجلين»؟ قال: بلى، يا رسول الله. فقال: «أُحَيْمِرُ[4] ثمودَ عاقرُ الناقة، والذي يضرب على هذه -وأشار إلى هامته- حتى يبتلّ منها هذه -وأشار إلى لحيته-».[5] فصار عاقرُ الناقة أشقى الناس بما ذكرنا. وجائز أن يكون قاتلُ علي صار أشقى الناس لأنه استحل قتله.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أي احذروا ناقة الله، وهو كقوله: [هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ] وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[6] والثاني أي قال لهم: ذَرُوا ناقةَ الله تأكلْ في أرض الله، وذروا بين الناقة وسقياها أي شِرْبِها.[7]

ثم أضيفت الناقة إلى الله تعالى لوجهين.[8] أحدهما أن الله تعالى لم يأذن لأحد بالتملك عليها حتى ينسب إليه المِلك بل بقيت غيرَ مملوكة لأحد، فأضيف إلى الله تعالى كما أضيفت إليه المساجد لما لا مِلك لأحد عليها. و[الثاني] أضيفت إلى الله تعالى على معنى التفضيل.

[1] ر م – لحب الدنيا؛ ث: بحب الدنيا.
[2] ر م: وما يضيق.
[3] ر: رحمة الله.
[4] ر م: أحتمر؛ ن: احيمس؛ ث: احتم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.
[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٦٣/٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٧/٨.
[6] سورة الأعراف، ٧٣/٧.
[7] م: أو شربها.
[8] م: الوجهين.

والأصل أن إضافة الأشياء إلى الله تعالى بحق الجزئيات[١] على تفضيل تلك الأجزاء من بين غيرها. وإضافة[٢] الأشياء إلى الله تعالى بحق الكليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى. فإذا قيل: "رب المساجد" أريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع، وإذا قيل: "رب العرش" أريد به تعظيم العرش، وكذلك إذا قيل: "رب الناقة" أريد به[٣] تعظيم أمرها. وإذا قيل: "رب العالمين" و"رب كل شيء" أريد به تعظيم الرب جل جلاله.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فكذبوه فعقروها**،[٤] يحتمل أن يكونوا كذبوا صالحا عليه السلام في رسالته، أو كذّبوه فيما أخبرهم من حلول[٥] العذاب بهم إذا عقروا الناقة، فعقروها مع ذلك.

وقوله عز وجل: **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم**، قال بعضهم: أي أطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير، ومنه يقال: بعير مُدَمْدَمٌ[٦] إذا كان سمينا[٧] أُطبِق شحمُه على لحمه.[٨] وقال بعضهم: **دمدم عليهم**، أي دمّر[٩] عليهم **بذنبهم**، وذنبُهم[١٠] ما تَعَدَّوْا من تكذيبهم / الرسولَ وعقرِهم الناقةَ. [٩٠٩ظ]

وقوله عز وجل: **فسواها**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه سوّاهم بالأرض، كقوله عز وجل: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ.[١١] أو سوى[١٢] بين الصغير والكبير في الإهلاك؛ فالصغار منهم يومئذ ماتوا بآجالهم والكبار منهم استؤصلوا بذنوبهم.

---

[١] ر م: الحرمات؛ ث: الخيرويات.
[٢] جميع النسخ: فإضافة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٦ظ.
[٣] ن: أريد بها.
[٤] ر م + فدمدم.
[٥] ر: من طول.
[٦] جميع النسخ: مدموم. والتصحيح من المرجع السابق. قال القرطبي: وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده. ويقال: دممت على الشيء: أي أطبقت عليه، ودمّم عليه القبرَ: أطبقه. وناقة مدمومة: ألبسها الشحمُ. فإذا كرّرت الإطباق قلت: دَمْدَمْت. والدمدمة: إهلاك باستئصال (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٠/٧٩).
[٧] ر: شمسا.
[٨] ث: لحمه على شحمه.
[٩] ن: دم.
[١٠] ن: بدانهم ودينهم.
[١١] سورة النساء، ٤/٤٢.
[١٢] ن: أي سوى.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولا يخاف عقباها**، فجائز أن تكون[1] الإضافة منصرفة إلى الله تعالى، وهو أن يكون الله لمّا أهلكهم لم يَخَفْ تَبِعَة الإهلاك. ووجه الخوف هو[2] أنه فيما أهلكهم أهلكهم بما أوجبت الحكمة إهلاكَهم، ولم يلحقه تقصير في الحكمة، ولا وجد الغائبُ في ذلك مقالا. وهكذا قال الحسن: ذاك ربنا لم يَخَفْ مما أنزل عليهم العذاب.[3] أو يكون منصرفا إلى العاقر، فيكون معناه أنه عقرها ولم يَخَف العاقبة التي حذّرهم بها صالحُ عليه السلام، من قوله: وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.[4] وقال بعضهم: **ولا يخاف عقباها**، أي لم يعلم ما يحُلّ به مِن عَقْر تلك الناقة ولو علم لم يفعل. ويجوز استعمال الخوف في موضع العلم لأن الخوف إذا بلغ غايتَه صار علما.

ثم الحكمة في ذكر قصة ثمود وجهان. أحدهما أن في ذكرها[5] تثبيتَ[6] رسالة محمد صلوات الله عليه، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه الاختلافُ إلى مَن عنده علمُ الأنباء والأخبار، ولا كان[7] يعرف الكتابة ليقع له المعرفة بهما، فثبت أنه بالوحي عَلِمَ. والثاني أن في ذكره تحذيرا[8] لمكذبي الرسل، فحُذِّروا به ليمتنعوا عن تكذيبه فلا يحُلَّ بهم كما حلّ بمكذبي صالح عليه الصلاة والسلام من بأسه وعذابه. ***والله الهادي وعليه اعتمادي***.[9]

---

[1] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٧و.

[2] ن – هو.

[3] تفسير *الطبري*، ٢٧١/٣٠.

[4] سورة الأعراف، ٧٣/٧.

[5] ن: في ذكرهما.

[6] ر ث م: يثبت.

[7] ر م: وكان.

[8] ن ث: تحذير.

[9] ن – وعليه اعتمادي.

# سورة الشمس

خمس عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝﴾

**قبل الخوض في التفسير لا بد من مسائل:**

**المسألة الأولى**: المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي.

واعلم أنه تعالى ينبه عباده دائمًا بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها؛ لأن الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى.

**المسألة الثانية**: قد عرفت أن جماعة من أهل الأصول قالوا: التقدير: (ورب الشمس ورب سائر ما ذكره إلى تمام القسم)، واحتج قوم على بطلان هذا المذهب فقالوا: إن في جملة هذا القسم قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥] وذلك هو الله تعالى فيلزم أن يكون المراد: ورب السماء وربها، وذلك كالمتناقض، أجاب القاضي عنه بأن قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ لا يجوز أن يكون المراد منه هو الله تعالى؛ لأن (ما) لا تُستعمل في خالق السماء إلا على ضرب من المجاز، ولأنه لا يجوز منه تعالى أن يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه، ولأنه تعالى لا يكاد يُذكر مع غيره على هذا الوجه، فإذًا لا بد من التأويل وهو أن ﴿مَا﴾ مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير: والسماء وبنائها. اعترض صاحب (الكشاف) عليه فقال: لو كان الأمر على هذا الوجه لزم من عطف قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ [الشمس: ٨] عليه فساد النظم.

**المسألة الثالثة**: القراء مختلفون في فواصل هذه السورة وما أشبهها نحو: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢] فقرءوها تارة بالإمالة وتارة بالتفخيم وتارة بعضها بالإمالة وبعضها بالتفخيم، قال الفراء: بكسر ضحاها، والآيات التي بعدها وإن كان أصل بعضها الواو نحو: تلاها، وطحاها ودحاها، فكذلك أيضًا. فإنه لما ابتدئت السورة بحرف الياء أتبعها بما هو من الواو لأن الألف المنقلبة عن الواو قد توافق المنقلبة عن الياء، ألا ترى أن تلوت وطحوت ونحوهما قد يجوز في أفعالها أن تنقلب إلى الياء نحو: تلي ودحي، فلما حصلت هذه الموافقة استجازوا إمالته كما استجازوا إمالة ما كان من الياء، وأما وجه من ترك الإمالة مطلقًا فهو أن كثيرًا من العرب لا يميلون هذه الألفات ولا ينحون فيها نحو الياء، ويقوي ترك الإمالة للألف أن الواو في موسر منقلبة عن الياء، والياء في ميقات وميزان منقلبة عن الواو

ولم يلزم من ذلك أن يحصل فيه ما يدل على ذلك الانقلاب، فكذا ههنا ينبغي أن تترك الألف غير ممالة ولا ينحى بها نحو الياء، وأما إمالة البعض وترك إمال البعض كما فعله حمزة، فحسن أيضًا، وذلك لأن الألف إنما تمال نحو الياء لتدل على الياء إذا كان انقلابها عن الياء، ولم يكن في تلاها وطحاها ودحاها ألف منقلبة عن الياء، إنما هي منقلبة عن الواو بدلالة تلوت ودحوت.

**المسألة الرابعة**: أن الله تعالى قد أقسم بسبعة أشياء إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[الشمس: ٩] وهو جواب القسم، قال الزجاج: المعنى لقد أفلح، لكن اللام حُذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضًا منها.

**قوله تعالى**: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ذكر المفسرون في ضحاها ثلاثة أقوال: قال مجاهد والكلبي: ضوؤها. وقال قتادة: هو النهار كله. وهو اختيار الفراء وابن قتيبة، وقال مقاتل: هو حر الشمس. وتقرير ذلك بحسب اللغة أن نقول: قال الليث: الضحو ارتفاع النهار، والضحى فويق ذلك، والضحاء ممدودًا امتد النهار، وقرب أن ينتصف. وقال أبو الهيثم: الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الأرض وأصله الضحى، فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فقلبوها وقال: ضح، فالضحى هو ضوء الشمس ونورها ثم سُمي به الوقت الذي تشرق فيه الشمس، على ما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾[النازعات: ٤٦] فمن قال من المفسرين في ضحاها: ضوؤها فهو على الأصل، وكذا من قال: (هو النهار كله)، لأن جميع النهار هو من نور الشمس، ومن قال في الضحى: إنه حر الشمس فلأن حرها ونورها متلازمان، فمتى اشتد حرها فقد اشتد ضوؤها وبالعكس، وهذا أضعف الأقوال. واعلم أنه تعالى إنما أقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما تعلق بها من المصالح، فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح في المشرق صار ذلك كالصور الذي ينفخ قوة الحياة، فصارت الأموات أحياء، ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل، ويكون غاية كمالها وقت الضحوة، فهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها، وقوله: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال الليث: تلا يتلو إذا تبع شيئًا. وفي كون القمر تاليًا وجوه: **أحدها**: بقاء القمر طالعًا عند غروب الشمس، وذلك إنما يكون في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، فإذا القمر يتبعها في الإضاءة، وهو قول عطاء عن ابن عباس. **وثانيها**: أن الشمس إذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب، وهو قول قتادة والكلبي. **وثالثها**: قال الفراء: المراد من هذا التلو هو أن القمر يأخذ الضوء من الشمس، يقال: فلان يتبع فلانًا في كذا، أي يأخذ منه. **ورابعها**: قال الزجاج: تلاها حين استدار وكمل، فكأنه يتلو الشمس في الضياء والنور، يعني إذا كمل ضوؤه فصار كالقائم مقام الشمس في الإنارة، وذلك في الليالي البيض. **وخامسها**: أنه يتلوها في كبر الجِرم بحسب الحس، وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته، ولقد ظهر في علم النجوم أن بينهما من المناسبة ما ليس بين الشمس وبين غيرها.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ ﴾

معنى التجلية الإظهار والكشف، والضمير في (جلاها) إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان: **أحدهما**: وهو قول الزجاج: أنه عائد إلى الشمس وذلك لأن النهار عبارة عن نور الشمس. فكلما كان النهار أجلى ظهورًا كانت الشمس أجلى ظهورًا؛ لأن قوة الأثر وكماله تدل على قوة المؤثر، فكان النهار يبرز الشمس ويظهرها، كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]أي لا يخرجها. **الثاني**: وهو قول الجمهور أنه عائد إلى الظلمة، أو إلى الدنيا، أو إلى الأرض، وإن لم يجر لها ذكر، يقولون: (أصبحت باردة) يريدون الغداة، و(أرسلت) يريدون السماء.

**قوله تعالى**: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ يعني يغشى الليل الشمس فيزيل ضوءها، وهذه الآية تقوي القول الأول في الآية التي قبلها من وجهين: **الأول**: أنه لما جعل الليل يغشى الشمس ويزيل ضوءها حسن أن يقال: النهار يجليها، على ضد ما ذكر في الليل. **والثاني**: أن الضمير في (يغشاها) للشمس بلا خلاف، فكذا في (جلاها) يجب أن يكون للشمس حتى يكون الضمير في الفواصل من أول السورة إلى ههنا للشمس، قال القفال: وهذه الأقسام الأربعة ليست إلا بالشمس في الحقيقة لكن بحسب أوصاف أربعة. **أولها**: الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار. وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش، ومنها: تلو القمر لها وأخذه الضوء عنها، ومنها: تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار، ومنها: وجود خلاف ذلك بمجيء الليل، ومن تأمل قليلاً في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله فيها أثر المصنوعية والمخلوقية من المقدار المتناهي والتركب من الأجزاء، انتقل منه إلى عظمة خالقها، فسبحانه ما أعظم شأنه!!

**قوله تعالى**: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا۝﴾ **فيه سؤالات**:

**السؤال الأول**: أن الذي ذكره صاحب (الكشاف) من أن ﴿ وَمَا﴾ ههنا لو كانت مصدرية لكان عطف ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ عليه يوجب فساد النظم- حق، والذي ذكره القاضي من أنه لو كان هذا قسمًا بخالق السماء، لما كان يجوز تأخيره عن ذكر الشمس، فهو إشكال جيد، والذي يخطر ببالي في الجواب عنه أن أعظم المحسوسات هو الشمس، فذكرها سبحانه مع أوصافها الأربعة الدالة على عظمتها، ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه للسماء والأرض وللمركبات، ونبه على المركبات بذكر أشرفها وهي النفس، والغرض من هذا الترتيب هو أن يتوافق العقل والحس على عظمة جِرم الشمس ثم يحتج العقل الساذج بالشمس، بل بجميع السماويات والأرضيات والمركبات على إثبات مبدئ لها، فحينئذٍ يحظى العقل ههنا بإدراك جلال الله وعظمته على ما يليق به، والحس لا ينازعه فيه. فكان ذلك كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يفاع عالم الربوبية، وبيداء كبرياء الصمدية، فسبحان من عظمت حكمته وكملت كلمته!!

**السؤال الثاني:** ما الفائدة في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾؟ **الجواب:** أنه سبحانه لما وصف الشمس بالصفات الأربعة الدالة على عظمتها، أتبعه ببيان ما يدل على حدوثها وحدوث جميع الأجرام السماوية، فنبه بهذه الآية على تلك الدلالة، وذلك لأن الشمس والسماء متناهية، وكل متناه فإنه مختص بمقدار معين، مع أنه كان يجوز في العقل وجود ما هو أعظم منه وما هو أصغر منه، فاختصاص الشمس وسائر السماويات بالمقدار المعين لا بد وأن يكون لتقدير مقدر: وتدبير مدبر، وكما أن باني البيت يبنيه بحسب مشيئته، فكذا مدبر الشمس وسائر السماويات قدرها بحسب مشيئته، فقوله: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ كالتنبيه على هذه الدقيقة الدالة على حدوث الشمس وسائر السماويات.

**السؤال الثالث:** لمَ قال: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ ولم يقل: ومن بناها؟ **الجواب من وجهين الأول:** أن المراد هو الإشارة إلى الوصفية، كأنه قيل: والسماء وذلك الشيء العظيم القادر الذي بناها، ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها. **والثاني:** أن (ما) تستعمل في موضع (مَن) كقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] والاعتماد على الأول.

**السؤال الرابع:** لمَ ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الأشياء الثلاثة وهي السماء والأرض والنفس؟ **والجواب:** لأن الاستدلال على الغائب لا يمكن إلا بالشاهد، والشاهد ليس إلا العالم الجسماني، وهو قسمان بسيط ومركب، والبسيط قسمان: العلوية وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ والسفلية وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشمس: ٦] والمركب هو أقسام وأشرفها ذوات الأنفس وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧].

## قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾

**ففيه مسألتان:**

المسألة الأولى: إنما أخر هذا عن قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

المسألة الثانية: قال الليث: الطحو كالدحو وهو البسط، وإبدال الطاء من الدال جائز، والمعنى وسعها. قال عطاء والكلبي: بسطها على الماء.

**أما قوله تعالى:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ إن حملنا النفس على الجسد، فتسويتها تعديل أعضائها على ما يشهد به علم التشريح، وإن حملناها على القوة المدبرة فتسويتها إعطاؤها القوى الكثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمخيلة والمفكرة والمذكورة، على ما يشهد به علم النفس. فإن قيل: لمَ نُكرت النفس؟ **قلنا:** فيه وجهان: أحدهما: أن يريد به نفسًا خاصة من بين النفوس، وهي النفس القدسية النبوية، وذلك لأن كل كثرة فلا بد فيها من واحد يكون هو الرئيس، فالمركبات جنس تحته أنواع ورئيسها الحيوان، والحيوان جنس تحته أنواع ورئيسها الإنسان، والإنسان أنواع وأصناف

ورئيسها النبي، والأنبياء كانوا كثيرين، فلا بد وأن يكون هناك واحد يكون هو الرئيس المطلق، فقوله: ﴿ وَنَفْسٍ﴾ إشارة إلى تلك النفس التي هي رئيسة لعالم المركبات رياسة بالذات. **الثاني**:أن يريد كل نفس، ويكون المراد من التنكير التكثير على الوجه المذكور في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]وذلك لأن الحيوان أنواع لا يُحصي عددها إلا الله، على ما قال بعد ذكر بعض الحيوانات: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]ولكل نوع نفس مخصوصة متميزة عن سائرها بالفصل المقوم لماهيته، والخواص اللازمة لذلك الفصل، فمن الذي يحيط عقله بالقليل من خواص نفس البق والبعوض، فضلاً عن التوغل في بحار أسرار الله سبحانه.

## قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝﴾

فالمعنى المحصل فيه وجهان: الأول: أن إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما، وهو كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]وهذا تأويل مطابق لمذاهب المعتزلة، قالوا: ويدل عليه قوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠]وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع من أكابر المفسرين. **والوجه الثاني**:أنه تعالى ألهم المؤمن المتقي تقواه وألهم الكافر فجوره، قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. وقال ابن زيد: جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها بالفجور، واختار الزجاج والواحدي ذلك، قال الواحدي: التعليم والتعريف والتبيين غير والإلهام غير، فإن الإلهام هو أن يوقع الله في قلب العبد شيئًا، وإذا أوقع في قلبه شيئًا فقد ألزمه إياه، وأصل معنى الإلهام من قولهم: (لهم الشيء، والتهمه) إذا ابتلعه، وألهمته ذلك الشيء، أي أبلغته، وهذا هو الأصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد؛ لأنه كالإبلاغ، فالتفسير الموافق لهذا الأصل قول ابن زيد، وهو صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه، وفي الكافر فجوره، وأما التمسك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ فضعيف لأن المروي عن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي أن المعنى قد أفلحَتْ وسعدَتْ نفس زكاها الله تعالى وأصلحها وطهرها، والمعنى وفقها للطاعة. هذا آخر كلام الواحدي وهو تام.

**وأقول**:قد ذكرنا أن الآيات الثلاثة ذُكرت للدلالة على كونه سبحانه مدبرًا للأجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة، فههنا لم يبق شيء مما في عالم المحسوسات إلا وقد ثبت بمقتضى ذلك التنبيه أنه واقع بتخليقه وتدبيره، بقي شيء واحد يختلج في القلب أنه هل هو بقضائه وقدره وهو الأفعال الحيوانية الاختيارية، فنبه سبحانه بقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ على أن ذلك أيضًا منه وبه وبقضائه وقدره، وحينئذٍ ثبت أن كل ما سوى الله فهو واقع بقضائه وقدره، وداخل تحت إيجاده وتصرفه. ثم الذي يدل عقلاً على أن المراد من قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ هو الخذلان والتوفيق ما ذكرنا مرارًا أن الأفعال الاختيارية موقوفة على حصول الاختيارات،

فحصولها إن كان لا عن فاعل فقد استغنى المحدث عن الفاعل، وفيه نفي الصانع، وإن كان عن فاعل هو العبد لزم التسلسل، وإن كان عن الله فهو المقصود، وأيضًا فليجرب العاقل نفسه. فإنه ربما كان الإنسان غافلاً عن شيء فتقع صورته في قلبه دفعة، ويترتب على وقوع تلك الصورة في القلب ميل إليه، ويترتب على ذلك الميل حركة الأعضاء وصدور الفعل، وذلك يفيد القطع بأن المراد من قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا﴾ ما ذكرناه لا ما ذكره المعتزلة.

## قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾

فاعلم أن التزكية عبارة عن التطهير أو عن الإنماء، وفي الآية قولان: **أحدهما:** أنه قد أدرك مطلوبه مَن زكّى نفسه بأن طهرها من الذنوب بفعل الطاعة ومجانبة المعصية. **والثاني:** قد أفلح من زكاها الله، وقبِل القاضي هذا التأويل، وقال: المراد منه أن الله حكم بتزكيتها وسماها بذلك، كما يقال في العرف: إن فلانًا يزكي فلانًا. ثم قال: والأول أقرب؛ لأن ذكر النفس قد تقدم ظاهرًا، فردُّ الضمير عليه أَوْلى من رده على ما هو في حكم المذكور لا أنه مذكور.

واعلم أنا قد دللنا بالبرهان القاطع أن المراد بألهمها ما ذكرناه، فوجب حمل اللفظ عليه. وأما قوله بأن هذا محمول على الحكم والتسمية فهو ضعيف؛ لأن بناء التفعيلات على التكوين، ثم إن سلَّمنا ذلك لكان ما حكم الله به يمتنع تغيره؛ لأن تغير المحكوم به يستلزم تغير الحكم من الصدق إلى الكذب، وتغير العلم إلى الجهل؛ وذلك محال، والمفضي إلى المحال محال. أما قوله: (ذكر النفس قد تقدم)، قلنا: هذا بالعكس أَوْلى، فإن أهل اللغة اتفقوا على أن عود الضمير إلى الأقرب أَوْلى من عوده إلى الأبعد، وقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا﴾ أقرب إلى قوله: ﴿ وَمَا﴾ منه إلى قوله: ﴿ وَنَفْسٍ﴾ فكان الترجيح لما ذكرناه، ومما يؤكد هذا التأويل ما رواه الواحدي في البسيط عن سعيد بن أبي هلال أنه عليه السلام كان إذا قرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ وقف وقال: «**اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها وأنت مولاها، وزكها أنت خير من زكاها**».

**أما قوله تعالى:** ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فقالوا: ﴿ دَسَّىٰهَا﴾ أصله دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء، فأُبدلت إحدى السينات ياء، فأصل دسى دسس، كما أن أصل تقضى البازي تقضض البازي، وكما قالوا: ألبيت والأصل لبيت، وملبي والأصل ملبب.

**ثم نقول:** أما المعتزلة فذكروا وجوهًا توافق قولهم: **أحدها:** أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم، وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية، كما أن أجواد العرب ينزلون الرُّبا حتى تشتهر أماكنهم ويقصدهم المحتاجون، ويوقدون النيران بالليل للطارقين. وأما اللئام فإنهم يخفون أماكنهم عن الطالبين **وثانيها:** ﴿ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم. **وثالثها:** ﴿ مَن دَسَّىٰهَا﴾ في المعاصي حتى انغمس فيها. **ورابعها:** ﴿ مَن دَسَّىٰهَا﴾ من دس في نفسه الفجور، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها. **وخامسها:** أن من أعرض عن

الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خاملاً متروكًا منسيًا، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول. **وأما أصحابنا فقالوا:** المعنى خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها، هذه ألفاظهم في تفسير ﴿دَسَّىٰهَا﴾ قال الواحدي رحمه الله: فكأنه سبحانه أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وخسار من خذله حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝﴾

قال الفراء: الطغيان والطغوى مصدران، إلا أن الطغوى أشبه برؤوس الآيات فاختير لذلك وهو كالدعوى من الدعاء وفي التفسير وجهان: **أحدهما:** أنها فعلت التكذيب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجراءته على الله تعالى، والمعنى أن طغيانهم حملهم على التكذيب به، هذا هو القول المشهور. **والثاني:** أن الطغوى اسم لعذابهم الذي أُهلكوا به، والمعنى كذبت بعذابها، أي لم يصدقوا رسولهم فيما أنذرهم به من العذاب، وهذا لا يبعد لأن معنى الطغيان في اللغة مجاوزة القدر المعتاد، فيجوز أن يسمى العذاب الذي جاءهم طغوى لأنه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد، أو يكون التقدير: كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى، ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] أي بالعذاب الذي حل بها، ثم قال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] فسمى ما أُهلكوا به من العذاب طاغية.

**قوله تعالى:** ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ انبعث مطاوع بعث، يقال: بعثت فلانًا على الأمر فانبعث له، والمعنى أنه كذبت ثمود بسبب طغيانهم حين انبعث أشقاها، وهو عاقر الناقة، وفيه قولان: **أحدهما:** أنه شخص معين واسمه قدار بن سالف، ويضرب به المثل يقال: (أشأم من قدار)، وهو أشقى الأولين بفتوى رسول الله ﷺ **والثاني:** يجوز أن يكونوا جماعة، وإنما جاء على لفظ الوحدان لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، تقول: هذان أفضل الناس وهؤلاء أفضلهم، وهذا يتأكد بقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤] وكان يجوز أن يقال أشقوها كما يقال أفاضلهم.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝﴾

**ففيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** المراد من الرسول صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي أنه أشار إليه لما هموا بعقرها وبلغه ما عزموا عليه، وقال لهم هي: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ وآيته الدالة على توحيده وعلى نبوتي، فاحذروا أن تقوموا عليها بسوء، واحذروا أيضًا أن تمنعوها من سقياها. وقد بينا في مواضع من هذا الكتاب أنه كان لها شِرب يوم ولهم ولمواشيهم شِرب يوم، وكانوا يستضرون بذلك في أمر

مواشيهم، فهَمُّوا بعقرها، وكان صالح عليه السلام يحذرهم حالاً بعد حال من عذاب ينزل بهم إن أقدموا على ذلك، وكانت هذه الحالة متصورة في نفوسهم، فاقتصر على أن قال لهم: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ لأن هذه الإشارة كافية مع الأمور المتقدمة التي ذكرناها.

**المسألة الثانية**: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على التحذير، كقولك: (الأسدَ الأسدَ)، و(الصبيَّ الصبيَّ) بإضمار ذروا عقرها واحذروا سقياها، فلا تمنعوها عنها، ولا تستأثروا بها عليها.

ثم بيَّن تعالى أن القوم لم يمتنعوا عن تكذيب صالح، وعن عقر الناقة بسبب العذاب الذي أنذرهم الله تعالى به، وهو المراد بقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ ثم يجوز أن يكون المباشر للعقر واحدًا وهو قدار، فيضاف الفعل إليه بالمباشرة، كما قال: (فتعاطى فعقر) ويضاف الفعل إلى الجماعة لرضاهم بما فعل ذلك الواحد. قال قتادة: ذُكر لنا أنه أبى أن يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكَرهم وأنثاهم. وهو قول أكثر المفسرين. وقال الفراء: قيل: إنهما كانا اثنين.

**أما قوله تعالى:** ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ فاعلم أن في الدمدمة وجوهًا: **أحدها:** قال الزجاج: معنى دمدم أطبق عليهم العذاب، يقال: دمدمت على الشيء، إذا أطبقت عليه، ويقال: ناقة مدمومة، أي قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه. قال الواحدي: الدم في اللغة اللطخ، ويقال للشيء السمين: كأنما دم بالشحم دمًّا، فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكبوا وبابه، فعلى هذا معنى دمدم عليهم: أطبق عليهم العذاب وعمهم كالشيء الذي يُلطخ به من جميع الجوانب. **الوجه الثاني:** تقول للشيء يُدفن: دمدمت عليه، أي سويت عليه، فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم: فسَوَّى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب. **الوجه الثالث:** قال ابن الأنباري: دمدم: غضب، والدمدمة: الكلام الذي يزعج الرجل. **ورابعها:** دمدم عليهم أرجف الأرض بهم، رواه ثعلب عن ابن الأعرابي، وهو قول الفراء.

**أما قوله:** ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ يحتمل وجهين، وذلك لأنا إن فسرنا الدمدمة بالإطباق والعموم، كان معنى (فسَوَّى) الدمدمة عليهم وعمهم بها، وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلام، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعًا، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم، وإن فسرناها بالتسوية، كان المراد فسوى عليهم الأرض.

## قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

**ففيه وجوه أولها:** أنه كناية عن الرب تعالى إذ هو أقرب المذكورات، ثم اختلفوا فقال بعضهم: لا يخاف تبعة في العاقبة، إذ العقبى والعاقبة سواء، كأنه بيَّن أنه تعالى يفعل ذلك بحق، وكل ما فعل ما يكون حكمة وحقًا فإنه لا يخاف عاقبة فعله. وقال بعضهم: ذكر ذلك لا على وجه التحقيق لكن على وجه التحقير لهذا الفعل، أي هو أهون من أن تخشى فيه عاقبة، والله تعالى

يجل أن يوصف بذلك. ومنهم من قال: المراد منه التنبيه على أنه بالغ في التعذيب، فإن كل ملك يخشى عاقبة فإنه يتقي بعض الاتقاء، والله تعالى لما لم يخف شيئًا من العواقب، لا جرم ما اتقى شيئًا. **وثانيها:** أنه كناية عن صالح الذي هو الرسول، أي ولا يخاف صالح عقبى هذا العذاب الذي ينزل بهم، وذلك كالوعد لنصرته ودفع المكاره عنه لو حاول محاول أن يؤذيه لأجل ذلك. **وثالثها:** المراد أن ذلك الأشقى الذي هو أحيمر ثمود فيما أقدم من عقر الناقة ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ وهذه الآية وإن كانت متأخرة لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم، كأنه قال: إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها، والمراد بذلك أنه أقدم على عقرها وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه، ففعل مع هذا الخوف الشديد فعل من لايخاف ألبتة، فنُسب في ذلك إلى الجهل والحمق، وفي قراءة النبي عليه السلام: (ولم يخف) وفي مصاحف أهل المدينة والشام: (فلا يخاف) والله أعلم.

روي أن صالحًا لما وعدهم العذاب بعد ثلاث، قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلموا فلنقتل صالحًا، فإن كان صادقًا فأعجلناه قبلنا، وإن كان كاذبًا ألحقناه بناقته!! فأتوه ليبيتوه فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح: أنت قتلتهم!! ثم هَمُّوا به فقامت عشيرته دونه لبسوا السلاح وقالوا لهم: والله لا تقتلونه قد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقًا زدتم ربكم عليكم غضبًا، وإن كان كاذبًا فأنتم من وراء ما تريدون!! فانصرفوا عنه تلك الليلة فأصبحوا وجوههم مصفرة فأيقنوا بالعذاب، فطلبوا صالحًا ليقتلوه فهرب صالح والتجأ إلى سيد بعض بطون ثمود وكان مشركًا فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه ثم شغلهم عنه ما نزل بهم من العذاب، فهذا هو قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## سورة «الشمس»

وهي مكِّيةٌ باتِّفاقٍ، وهي خَمْسَ عَشْرةَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**قوله تعالى:** ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾

قال مجاهد: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ أي: ضوئِها وإشْراقِها. وهو قَسَمٌ ثانٍ. وأضاف الضُّحَى إلى الشمس؛ لأنه إنَّما يكون بارتفاعِ الشمس. وقال قتادةُ: نَهارها[٤]. السُّدِّيُّ:

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣٤، ووقع في (م): بهاؤها.

حرّها[١]. وروى الضحاك عن ابن عباس: «وضحاها»، قال: جَعَلَ فيها الضوءَ وجَعَلَها حارَّة[٢].

وقال اليزيديُّ: هو انبساطُها. وقيل: ما ظَهَر بها من كلِّ مخلوقٍ، فيكون القَسَمُ بها وبمخلوقاتِ الأرض كلِّها. حكاه الماوردِيّ[٣].

والضُّحَى: مؤنثةٌ. يقال: ارتفعت الضُّحى فوق الصُّخور. وقد تُذَكَّر. فَمَن أَنَّث ذهب إلى أنها جمعُ ضَحْوَةٍ. ومَن ذكَّر ذهب إلى أنه اسمٌ على فُعَل، نحو صُرَدٍ ونُغَرٍ. وهو ظرفٌ غيرُ متمكِّنٍ مثل سَحَر. تقول: لقِيتُه ضحًى وضُحَى؛ إذا أردتَ به ضُحا يومِك لم تنوِّنه[٤]. وقال الفرَّاء[٥]: الضُّحى هو النهار، كقول قتادة[٦]. والمعروفُ عند العرب: أنَّ الضُّحى إذا طلعت الشمسُ وبُعَيد ذلك قليلاً، فإذا زاد فهو الضَّحَاء بالمدِّ. ومَن قال: الضُّحى: النهارُ كلُّه، فذلك لدوامِ نورِ الشمس. ومَن قال: إنه نورُ الشمسِ أو حرُّها، فنورُ الشمسِ لا يكون إلَّا مع حرِّ الشمس. وقد استدلَّ مَن قال: إنَّ الضحى حرُّ الشمس بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩] أي: لا يؤذيك الحرّ.

وقال المبرِّد: أصلُ الضُّحَى من الضِّحِّ، وهو نورُ الشمسِ، والألفُ مقلوبةٌ من الحاءِ الثانية. تقول: ضَحوَة وضَحَوات[٧] وضُحًى، فالواوُ من ضَحْوَة مقلوبةٌ عن

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨١ .

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الحاكم ٢/ ٥٢٤ من طريق مجاهد عن ابن عباس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ قال: ضوءها.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ٢٨١ .

(٤) الصحاح (ضحا)، وينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، وتفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣٤ ، وسلف قريباً.

(٧) بعدها في (م) و(ي): وضحوات. وكل اسم واحدة فَعْلة فإنَّ جَمعه على فَعَلات بفتح العين، فإن كان نعتاً فإنك تدع ثانيه ساكناً، مثل: ضَخْمَة، تجمعها: ضَخْمات، وربما سكنت العين في الأسماء، كما قال الشاعر: فتستريح النفس من زَفْراتها. ينظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢ .

الحاء الثانية[١]، والألفُ في ضُحا مقلوبةٌ عن الواو.

وقال أبو الهيثم: الضِّح: نقيض الظِّلِّ، وهو نورُ الشمسِ على وجه الأرض، وأصلُه: الضِّحْيُ، فاستَثْقَلوا الياءَ مع سكونِ الحاءِ، فقَلَبوها ألفاً[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾

أي: تَبِعَها، وذلك إذا سقطت رُئي الهلال. يقال: تَلَوْتُ فلاناً: إذا تَبِعته. قال قتادة: إنَّما ذلك ليلةَ الهلال، إذا سَقَطت الشمس رُئي الهلال[٣].

وقال ابن زيد: إذا غَربت الشمسُ في النصف الأول من الشهر، تلاها القمرُ بالطُّلوع، وفي آخِرِ الشهرِ يتلُوها بالغروب[٤].

الفرَّاء: «تلاها»: أخذ منها. يذهبُ إلى أنَّ القمر يأخذُ من ضوء الشمس[٥]. وقال قومٌ: «والقمرِ إذا تَلاَها» حين استوى واستدار، فكان مِثلَها في الضياء والنور؛ وقاله الزجَّاج[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾

أي: كَشَفَها. فقال قومٌ: جلَّى الظُّلْمةَ، وإنْ لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ، كما تقول: أضْحَتْ باردةً، تريد: أَضْحَتْ غَداتُنا باردةً. وهذا قولُ الفرّاءِ[٧] والكلبيِّ وغيرِهما. وقال قومٌ:

(١) قال أبو حيان في البحر ٨/ ٤٧٨ لعله مختلَقٌ عليه؛ لأن المبرد أجلُّ من أن يذهب إلى هذا، وهاتان مادتان مختلفتان لا تشتقُّ إحداهما من الأخرى.

(٢) كذا في النسخ، ومثله في تفسير الرازي ٣١/ ١٩٠، والذي في تهذيب اللغة ٣/ ٣٩٨ عن أبي الهيثم: ... فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها؛ قالوا: ضِحّ. ومثلُه العبدُ القِنُّ، وأصله: قِنْي من القِنْية.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣٦.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨٢ بلفظ: في النصف الأول يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه، ونحوه في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٥، وقول الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦.

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٣٣١.

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦.

الضمير في «جَلاَّها» للشمس، والمعنى: أنه يُبِينُ بضوئه جرمَها. ومنه قولُ قيس بنِ الخَطِيم:

تَجَلَّت لنا كالشَّمسِ تحتَ غَمامةٍ  بدا حاجبٌ منها وضَنَّت بحاجِبِ[١]

وقيل: جَلَّى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر؛ لاستتاره ليلاً وانتشاره نهاراً[٢]. وقيل: جَلَّى الدنيا. وقيل: جَلَّى الأرض، وإنْ لم يَجْرِ لها[٣] ذِكْرٌ، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] على ما تقدَّم آنفاً.

## قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾

أي: يغشَى الشمس، فيَذهَبُ بَضوْئها عند سقوطها؛ قاله مجاهدٌ وغيره. وقيل: يغشى الدنيا بالظُّلَم، فتُظلم الآفاق. فالكنايةُ تَرْجِعُ إلى غيرِ مذكور.

## قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾

أي: وبنيانها. فـ«ما» مَصْدَريةٌ، كما قال: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٧] أي: بغفران ربِّي؛ قاله قتادة، واختاره المبرِّد.

وقيل: المعنى: ومَن بناها؛ قاله الحسن ومجاهد[٤]؛ وهو اختيارُ الطَّبَرِيِّ[٥]. أي: ومَن خَلَقَها ورَفَعَها، وهو الله تعالى. وحُكِي عن أهل الحجاز: سُبحان ما سَبَّحت له، أي: سبحان مَنْ سَبَّحت له[٦].

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٢٨، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ١٤٦، وديوان المعاني ١/ ٢٢٩، والحماسة البصرية ٢/ ٨٥، واللسان (حجب). وورد البيت في ديوان مجنون ليلى ص٧٥. قال صاحب اللسان: حاجب الشمس: ناحيةٌ منها.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٨٢.

(٣) في (د) و (ز) و(ي): لهما.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٨٢، وزاد المسير ٩/ ١٣٩.

(٥) في تفسيره ٢٤/ ٤٣٧، قال: وبناؤه إياها تصييره إياها للأرض سقفاً.

(٦) ينظر ما سلف ٦/ ٢٦، وما سيأتي ص٣٢٠ من هذا الجزء.

**قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾**

أي: وطَحْوِها. وقيل: ومَن طحاها؛ على ما ذكرناه آنفاً. أي: بَسَطَها؛ كذا قال عامَّةُ المفسِّرين، مثل دحاها. قال الحسن ومجاهد وغيرهما: طحاها ودحاها واحدٌ[(١)]، أي: بَسَطَها من كل جانب. والطَّحْو: البَسْطُ؛ طَحَا يطحُو طحْواً، وطَحَى يَطحَى طَحْياً. وطَحَيْتُ: اضطجعتُ؛ عن أبي عمرو[(٢)].

وعن ابن عباس: طحاها: قَسمها[(٣)]. وقيل: خَلَقها؛ قال الشاعر:

وما تَدْرِي جذيمة مَن طَحاها ولا مَنْ ساكِنُ العَرْشِ الرَّفيعِ[(٤)]

الماوَرْديُّ[(٥)]: ويحتمل أنه ما خرج منها من نباتٍ وعيونٍ وكنوز؛ لأنه حياةٌ لِمَا خُلِق عليها.

ويقال في بعض أيمان العرب: لا، والقمرِ الطَّاحِي، أي: المُشرِف المُشْرِق المرتفع[(٦)]. قال أبو عمرو: طحا الرجل: إذا ذهب في الأرض. يقال: ما أدري أين طَحَا! ويقال: طحا به قلبُه: إذا ذهب به في كلِّ شيء؛ قال علقمة:

طَحَا بكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَروبُ بُعيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ[(٧)]

**قوله تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾**

قيل: المعنى: وتَسْوِيَتِها. «فما»: بمعنى المصدر. وقيل: المعنى: ومَن سَوَّاها، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرجه عن مجاهد الطبري ٢٤/ ٤٣٩ بنحوه.

(٢) ذكره عنه الجوهري في الصحاح (طحا).

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤٠ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٨٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ٢٨٣ .

(٦) تهذيب اللغة ٥/ ١٨٤ .

(٧) ديوان علقمة الفحل ص٣٣ ، والصحاح (طحا) والكلام منه. قال الأعلم شارح الديوان: قوله: طحا بك قلب، أي: اتَّسع بك في حب الحِسان، وذَهب بك كلَّ مذهب.

وفي النفس قولان: أحدهما آدمُ. الثاني: كلُّ نفسٍ منفوسة. وسوَّى: بمعنى هيَّأ. وقال مجاهد: سوَّاها: سَوَّى خَلْقَها وعَدَّل[١].

وهذه الأسماءُ كلُّها مجرورةٌ على القَسَم؛ أَقسمَ جلَّ ثناؤه بخَلْقِه لمَا فيه من عجائب الصَّنْعةِ الدالَّةِ عليه.

## قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أي: عَرَّفها؛ كذا رَوَى ابنُ أبي نَجِيح عن مجاهد[٢]. أي: عرَّفها طريقَ الفجورِ والتقوى؛ وقاله ابن عباس[٣]. وعن مجاهدٍ أيضاً: عَرَّفها الطاعةَ والمعصية.

وعن محمد بن كعب قال: إذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعَبْدِهِ خيراً، أَلْهمَه الخيرَ فَعَمِل به، وإذا أراد به السوءَ، أَلْهمَه الشرَّ فعمِل به.

وقال الفرَّاء[٤]: «فألهمها»، قال: عَرَّفها طريقَ الخيرِ وطريقَ الشرِّ، كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وروى الضحَّاكُ عن ابن عباس قال: أَلْهَمَ المؤمنَ المتَّقيَ تقواه، وأَلْهَمَ الفاجرَ فُجورَه[٥].

وعن سعيد عن قتادة قال: بَيَّن لها فُجورَها وتقواها[٦]. والمعنى متقارب.

ورُوِي عن أبي هريرةَ قال: قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ فقال:

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٠-٤٤١، والوسيط ٤/ ٤٩٥، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩٢ ولفظه: علَّمها الطاعة والمعصية، وفي رواية: بيَّن لها طريق الخير والشر. وفي رواية: عرَّفها ما تأتي وما تتقي.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦.

(٥) ذكره الرازي ٣١/ ١٩٣ دون نسبة.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤١.

«اللهمَّ آتِ نفسي تَقْواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنت وَليُّها ومَولاها»[(١)].

ورواه جُوَيبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ هذه الآيةَ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ رفع صوته بها، وقال: «اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، أنت ولِيُّها ومولاها، وأنت خيرُ مَن زَكَّاها»[(٢)].

وفي «صحيح» مسلم عن أبي الأسود الدِّيْليِّ[(٣)] قال: قال لي عِمران بنُ حصين: أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليومَ، ويَكْدَحون فيه، أشيءٌ قُضِي عليهم ومَضَى عليهم من قَدَرِ ما سَبَق، أو فيما يُسْتَقْبَلون به ممَّا أتاهم به نبيُّهم، وثَبَتَتِ الحُجَّةُ عليهم؟ فقلت: بل شيءٌ قُضِي عليهم، ومَضى عليهم. قال: فقال: أفَلا يكونُ ظُلماً؟ قال: ففزِعْتُ من ذلك فَزَعاً شديداً، وقلت: كلُّ شيءٍ خَلْقُ الله ومِلْكُ يَدِه، فلا يُسألُ عمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألون. فقال لي: يرحمُكَ الله! إنِّي لم أُرِدْ بما سألتُك إلَّا لأحْزِرَ عقلكَ، إنَّ رجلين من مُزَينة أتَيَا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسولَ الله، أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليومَ ويَكْدَحون فيه، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم مِن قَدرٍ قد سَبَق، أو فيما يُستقبَلون به ممّا أتاهم به نبيُّهم، وثَبَتَتِ الحجةُ عليهم؟ فقال: «لا، بل شيءٌ قُضِي عليهم ومَضَى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾»[(٤)]. والفجورُ والتقوى: مصدران في موضعِ المفعولِ به.

## قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ هذا جوابُ القَسَم، بمعنى: لقد أفْلَح. قال

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٨١)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية، وفي إسناده يعقوب بن حميد المدني وهو ضعيف، وعبد الله بن عبد الله الأموي وهو مجهول.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٨٤، وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. قال ابن كثير: وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث، والضحاك لم يلقَ ابن عباس. اهـ. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١١٩١) بإسناد آخر عن ابن عباس به، وفيه ابن لهيعة وهو سيءُ الحفظ.

(٣) في (م): الدؤلي. قال الحافظ في التقريب: الدِّيْلي بكسر المهملة وسكون التحتانية، ويقال: الدُّؤَلي بالضم بعدها همزة مفتوحة، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان.

(٤) صحيح مسلم (٢٦٥٠)، وهو عند أحمد (١٩٩٣٦).

الزجَّاج: اللامُ حُذِفَتْ لأنَّ الكلام طال، فصار طولُه عِوضاً منها[١].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ، أي: والشمسِ وكذا وكذا لَتُبْعثُنَّ.

الزمخشريُّ: تقديرُه: لَيُدَمْدِمنَّ الله عليهم، أي: على أهلِ مكة، لتكذيبهم رسولَ الله ﷺ، كما دَمْدَم على ثمود؛ لأنهم كذَّبوا صالحاً. وأمَّا «قد أفلح من زكَّاها» فكلامٌ تابعٌ لقوله[٢]: «فألهَمَها فجورَها وتقواها»، على سبيل الاستِطْرادِ، وليس من جواب القَسَمِ في شيء.

وقيل: هو على التقديم والتأخير بغيرِ حذفٍ، والمعنى: قد أَفْلَحَ مَن زَكَّاها، وقد خاب مَن دَسَّاها، والشمسِ وضحاها.

﴿أَفۡلَحَ﴾ فاز ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: مَن زكَّى اللهُ نفسَه بالطاعة ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: خَسِرتْ نفسٌ دَسَّها الله عزَّ وجلَّ بالمعصية. وقال ابن عباس: خابت نفسٌ أَضَلَّها الله وأَغْواها[٣].

وقيل: أفلحَ مَن زكَّى نفسَه بطاعة الله وصالحِ الأعمال، وخاب مَن دسَّ نفسَه في المعاصي؛ قاله قتادةُ وغيره[٤].

وأصلُ الزكاة: النموُّ والزيادةُ، ومنه: زكا الزرع: إذا كَثُر رَيْعُه، ومنه تزكيةُ القاضي للشاهد؛ لأنه يرفعُه بالتعديل وذِكْرِ الجميل. وقد تقدَّم هذا المعنى في أوَّل سورةِ البقرة مستوفًى[٥].

فمصْطَنِعُ المعروفِ والمبادِرُ إلى أعمال البِرِّ، شَهَر نفسَه ورفعَها. وكانت أجوادُ

---

(١) زاد المسير ٩/ ١٤١ ، ولم نقف على هذا الكلام في معاني القرآن للزجاج، وذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧٨ دون نسبة، ثم قال: والاختيار عندنا أن يكون جواب القسم محذوفاً لبيان معناه، يراد به: والشمس وضحاها لقد سعد أهل الطاعة وشقي أهل المعصية، فدل على المحذوف: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

(٢) قبلها في (م): لأوله، والمثبت والنسخ الخطية، والكشاف ٤/ ٢٥٩ .

(٣) الوسيط ٤/ ٤٩٧ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤٥ بلفظ: قد خاب مَن دسَّ الله نَفْسَه فأضلَّه.

(٤) أخرجه عن قتادة بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٦ ، والطبري ٢٤/ ٤٤٤ و٤٤٦ .

(٥) ٢/ ٢٣ .

العربِ تنزلُ الرُّبا وارتفاعَ الأرضِ؛ لِيَشْتَهِر مكانُها للمُعْتَفِين[١]، وتُوقِدُ النارَ في الليل للطَّارِقين. وكانت اللئامُ تنزلُ الأَوْلاجَ والأطرافَ والأَهْضامَ[٢]، لِيَخْفَى مكانُها عن الطَّالِبين. فأولئك عَلَّوْا أنفسَهم وزَكَّوْها، وهؤلاء أَخْفَوْا أنفسَهم ودَسّوها. وكذا الفاجِرُ أبداً خَفِيُّ المكان، زَمِرُ المروءةِ[٣]، غامِضُ الشَّخصِ، ناكِسُ الرأسِ بركوبِ المعاصي.

وقيل: دسَّاها: أغواها؛ قال:

وأنتَ الذي دَسَّيْتَ عَمْراً فأصبحَتْ حلائلُهُ منه أرامِلَ ضُيَّعا[٤]

قال أهلُ اللغة: والأصل: دسَّسَهَا، من التدسيس، وهو إخفاءُ الشيءِ في الشيء، فأُبدلتْ سِينُه ياءً، كما يقال: قَصَّيْتُ أظفاري؛ وأصلهُ: قَصَّصْتُ أظفاري. ومثلُه قولهم في تَقَضَّضَ: تَقَضَّى[٥]. وقال ابن الأعرابيِّ: «وقدْ خَابَ من دَسَّاها» أي: دسَّ نفسَه في جملةِ الصالحين وليس منهم[٦].

**قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بطُغْيانها، وهو خروجُها عن الحدِّ في

(١) المعتفي: الضيف، وكل طالب فضل أو رزق. القاموس (عفو).

(٢) الأولاج: جمع وَلَجة: كهف تستتر فيه المارة من مطر وغيره، ومَعْطِفُ الوادي. والأهضام: جمع هَضْم، وهو المطمئن من الأرض، وبطن الوادي. القاموس (ولج) و(هضم).

(٣) أي: قليل المروءة. القاموس (زمر).

(٤) جمهرة اللغة ٣/ ٢٤٢ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ٤١ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤ ، واللسان (دسا)، ووقع في التهذيب واللسان: نساؤهم منهم، بدل: حلائله منه. وفي النكت: حلائلهم فيهم. قال صاحب اللسان: عمرو قبيلة. وقال ابن دريد عن البيت: زعم أبو حاتم أنه مصنوع.

(٥) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧ ، وللزجاج ٥/ ٣٣٢-٣٣٣ ، وتفسير الغريب لابن قتيبة ص٥٣٠ وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١ و١٣/ ٤١ ، والصحاح (دسا).

(٦) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١ .

العصيان؛ قاله مجاهدٌ وقتادةُ وغيرُهما.

وعن ابن عباس «بِطَغْواها» أي: بعذابها الذي وُعِدَتْ به. قال: وكان اسم العذابِ الذي جاءها: الطَّغْوى؛ لأنه طَغَى عليهم.

وقال محمد بن كعب: «بِطغواها» بأَجْمَعِها[١].

وقيل: هو مصدرٌ، وخرج على هذا المخرج لأنَّه أَشْكَلُ برؤوسِ الآي[٢].

وقيل: الأصلُ: بطَغْياها، إلَّا أنَّ «فَعْلَى» إذا كانت من ذوات الياءِ أُبدِلَتْ في الاسم واواً، لِيُفصَل بينَ الاسمِ والوصف[٣].

وقراءةُ العامَّة بفتح الطَّاء. وقرأ الحسن والجَحْدري وحماد بنُ سلمة بضم الطاء، على أنَّه مصدر كالرُّجْعَى والحُسْنى وشِبْهِهما في المصادر[٤]. وقيل: هما لغتان.

﴿إِذِ انۢبَعَثَ﴾ أي: نهض. ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ لعَقْرِ الناقة. واسمُه: قُدَار بنُ سالِف، وقد مضى في «الأعراف»[٥] بيانُ هذا. وهل كان واحداً أو جماعةً. وفي البخاريِّ عن عبد الله بن زَمَعةَ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يخطُب، وذَكَر الناقةَ والذي عَقَرها، فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ انۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ انبعث لها رجلٌ عزيزٌ عارِمٌ، منيعٌ في رَهْطِه مثلُ أبي زَمَعةَ» وذَكَر الحديث. خرَّجه مسلم أيضاً[٦].

وروى الضحَّاك عن عليٍّ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «أَتَدْري مَن أَشْقَى الأوَّلِينَ» قلتُ: الله ورسولُه أَعْلَم. قال: «عاقرُ الناقةِ». قال: «أَتَدْري مَن أَشْقَى الآخِرين» قلتُ: الله

---

(١) أخرج هذه الأخبار الطبري ٢٤/ ٤٤٧-٤٤٨ .

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٨ ، وقال الفراء: ألا ترى أنه قال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ١٠] ومعناه: آخر دعائهم.

(٣) يعني: أنهم يقرُّون ياء فَعْلَى بالفتح صفةً نحو: امرأة خَزْيَا وصَدْيا، ويقلبونها في الاسم نحو: تقوى. ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣ ، والكشاف ٤/ ٢٥٩ ، والدر المصون ١١/ ٢٣ .

(٤) المحتسب ٢/ ٣٦٣ ، والكشاف ٤/ ٢٥٩ ، وذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٤ .

(٥) ٩/ ٢٧٠-٢٧١ .

(٦) صحيح البخاري (٤٩٤٢)، وصحيح مسلم (٢٨٥٥) وهو عند أحمد (١٦٢٢٢)، وسلف ٩/ ٢٧٠ .

ورسولُه أعلم. قال: «قاتِلُكَ»[(١)].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني صالحاً ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ «ناقة» منصوبٌ على التحذير؛ كقولك: الأسدَ الأسدَ، والصبيَّ الصبيَّ، والحِذارَ الحِذارَ. أي: احذَروا ناقةَ الله، أي: عَقْرَها. وقيل: ذَرُوا ناقةَ الله، كما قال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]. ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: ذَرُوها وشِرْبَها. وقد مضى في سورة الشعراء[(٢)] بيانُه والحمد للهِ. وأيضاً في سورة «اقتربت الساعة»[(٣)]. فإنَّهم لمَّا اقترحوا الناقةَ، وأخرجها لهم من الصخرة، جعل لهم شِرْبَ يومٍ من بئرهم، ولها شِرب يومٍ مكانَ ذلك، فشقَّ ذلك عليهم. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذَّبوا صالحاً عليه السلامُ في قوله لهم: إنَّكم تُعَذَّبونَ إنْ عَقَرْتُموها. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عَقَرَها الأشقى، وأُضيفَ إلى الكلِّ لأنهم رَضُوا بفعله. وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنه لم يعقرها حتى تابَعَه[(٤)] صغيرُهم وكبيرهم، وذَكَرُهم وأُنثاهم[(٥)].

وقال الفرَّاء[(٦)]: عَقَرَها اثنان، والعربُ تقولُ: هذان أفضلُ الناسِ، وهذان خيرُ الناسِ، وهذه المرأةُ أشقَى القومِ، فلهذا لم يَقُلْ: أَشْقَياها.

قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: أهْلَكهُم وأطْبقَ عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفرُ والتكذيبُ والعَقْر. وروى الضحاكُ عن ابن عباس قال: «دَمْدم

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٩٥٣)، وروي بإسناد آخر عن علي ﷺ بنحوه عند عبد بن حميد في المنتخب (٩٢)، وأبي يعلى (٥٦٩)، والطبراني في الكبير (١٧٣). وله شاهد من حديث صهيب ﷺ عند أبي يعلى (٤٨٥)، والطبراني في الكبير (٧٣١١). وآخر من حديث جابر بن سمرة ﷺ عند الطبراني في الكبير (٢٠٣٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ١/ ١٣٥ . وثالث من حديث عمار ﷺ عند أحمد (١٨٣٢١). وينظر مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦-١٣٧ .

(٢) عند تفسير الآية (١٥٤) منها.

(٣) عند تفسير الآيتان (٢٧) و(٢٨) منها.

(٤) في (د): بايعه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٥٠ .

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٨ .

عليهم»قال: دَمَّر عَلَيْهم ربُّهم بذنبهم[١]، أي: بجُرْمهم. وقال الفرَّاء[٢]: «دَمْدم» أي: أَرْجَفَ.

وحقيقةُ الدَّمْدمةِ: تَضْعيفُ العذابِ وترديدُه. ويقال: دَمَمْتُ[٣] على الشيء، أي: أطْبقْت عليه، ودَمَم[٤] عليه القبرَ: أَطْبقَه. وناقةٌ مدمومةٌ: أُلْبِسَها الشَّحمُ. فإذا كرَّرْتَ الإطباقَ قلتَ: دَمْدَمْتُ.

والدمدمةُ: إهلاكٌ باستئصالٍ؛ قاله المؤرِّج[٥]. وفي «الصِّحاح»: ودَمْدَمْتُ الشيءَ: إذا أَلْزقته بالأرضِ وطَحْطَحْته. ودَمْدَمَ الله عليهم، أي: أَهْلَكَهم[٦].

القُشَيرِيُّ: وقيل: دَمْدَمتُ على الميِّتِ الترابَ، أي: سَوَّيْتُ عليه. فقولُه: «فدَمْدَمَ عليهم» أي: أهْلَكهم، فجعلهم تحتَ التراب، «فَسَوَّاها» أي: سَوَّى عليهم الأرضَ. وعلى الأولِ: «فسوَّاها»، أي: فسوَّى الدَّمدمةَ والإهلاكَ عليهم. وذلك أنَّ الصيحةَ أهلكتهم، فأَتتْ على صغيرهم وكبيرهم.

وقال ابن الأنباريِّ: دَمْدَمَ، أي: غَضِب. والدمدمةُ: الكلامُ الذي يزعجُ الرجلَ[٧]. وقال بعض اللغويين: الدمدمةُ: الإدامةُ؛ تقول العربُ: ناقةٌ مُدْمومَةٌ[٨]، أي: سمينة.

وقيل: «فسوَّاها» أي: فسوَّى الأُمَّةَ في إنزال العذاب بهم، صغيرهم وكبيرهم، وَضِيعهم وشَريفهم، ذَكَرهم وأُنْثاهم.

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٤٩٤ عن عطاء ومقاتل.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٩ .

(٣) في (د) و(ظ): دمدمت، والمثبت من كتاب الغريبين للهروي (دمم)، والكلام منه.

(٤) في (د) و(ظ): ودمدم، والمثبت من الغريبين.

(٥) الوسيط ٤/ ٥٠٠ ، وزاد المسير ٩/ ١٤٣ .

(٦) الصحاح (دمدم).

(٧) تهذيب اللغة ١٤/ ٨١ .

(٨) في (د) و(م): مدمدمة.

وقرأ ابن الزُّبير: «فَدهْدَم»[١]، وهما لغتان، كما يقال: امتُقِع لونُه وانْتُقِع.

**قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾**

أي: فعل الله ذلك بهم غيرَ خائفٍ أنْ تَلْحَقه تَبِعةُ الدَّمدمةِ من أحَدٍ؛ قاله ابنُ عباسٍ والحسن وقتادة ومجاهد[٢]. والهاءُ في «عُقْباها» تَرْجعُ إلى الفعلة، كقوله: «مَن اغْتَسلَ يومَ الجمعة فبها ونعمتْ»[٣] أي: بالفِعْلةِ والخَصْلَة.

وقال السدِّيُّ والضحَّاك والكلبيُّ: ترجع إلى العاقِر، أي: لم يَخَفِ الذي عَقَرها عُقبَى ما صَنَع[٤]. وقاله ابن عباس أيضاً. وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، مجازهُ: إذِ انبعث أشقاها ولا يخاف عُقباها[٥].

وقيل: لا يخافُ رسول اللهِ صالحٌ عاقبةَ إهلاكِ قومِه، ولا يخشى ضرراً يعودُ عليه من عذابهم؛ لأنه قد أنذرهم، ونجَّاه الله تعالى حين أهْلَكَهم[٦].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر: «فلا» بالفاء[٧]، وهو الأجودُ؛ لأنَّه يرجع إلى المعنى الأولِ، أي: فلا يخاف الله عاقبةَ إهلاكهم. الباقون بالواو، وهي أشبهُ بالمعنى الثاني، أي: ولا يخافُ الكافر عاقبةَ ما صنع. ورَوَى ابنُ وَهْبٍ وابنُ القاسم عن مالكٍ قالا: أخرج إلينا مالكٌ مصحفاً لجدِّه، وزعم أنه كتبه في أيامِ عُثمانَ بنِ عفان حين

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥١-٤٥٢ .

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧)، والنسائي في المجتبى ٣/ ٩٤ من حديث سمرة بن جندب بلفظ: «مَن توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومَن اغتسل فالغسل أفضل» وقد سلف بهذا اللفظ عند تفسير الآية (٨) من سورة الجمعة في المسألة العاشرة.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥٢-٤٥٣ عن الضحاك والسدي.

(٥) يعني: وهو لا يخاف عقباها. معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٨٥ .

(٧) السبعة ص٦٨٩ ، والتيسير ص٢٢٣ .

كتب المصاحف، وفيه: «ولا يخاف» بالواو[١]. وكذا هي في مصاحفِ أهلِ مكةَ والعراقيين بالواو، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم، اتِّباعاً لمصحفهم.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢٩ .

# سُورَةُ الشَّمْسِ

مكيَّةٌ، وآيُها خمسَ عشرةَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾: ضوئِهـا إذا أشـرقَتْ، وقيـلَ: (الضَّحْـوةُ): ارتفـاعُ النَّهـارِ، و(الضُّحـى): فـوقَ ذلكَ، و(الضَّحـاءُ) بالفتحِ والمـدِّ: إذا امتـدَّ النَّهارُ وكادَ يَنتصِفُ.

(٢) ـ ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: تـلا طلوعُـهُ طلوعَ الشَّـمسِ أوَّلَ الشَّـهرِ، أو غروبَها ليلةَ البـدرِ، أو: تَلاها في الاسـتدارةِ وكمـالِ النُّورِ.

(٣) ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: جلَّـى الشَّـمسَ؛ فإنَّهـا تَنجَلِـي إذا انبسـطَ النَّهـارُ، أو: الظُّلمـةَ، أو: الدُّنيـا، أو: الأرضَ، وإن لـم يجـرِ ذكرُهـا؛ للعلـمِ بهـا.

(٤) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾: يغشَـى الشَّـمسَ فيغطِّـي ضوءَهـا، أو: الآفـاقَ، أو: الأرضَ.

ولَمَّا كانت واواتُ العطفِ نوائبَ للواوِ الأولى القَسَمِيَّةِ الجارَّةِ بنفسِها النائبةِ مَنابَ فعلِ القسمِ مِن حيثُ استلزمَتْ طرحَهُ معها = رَبطْنَ المجروراتِ والظُّروفَ بالمجرورِ والظَّرفِ المُقدَّمَينِ رَبْطَ الواوِ لِمَا بعدَها في قولِك: «ضربَ زيدٌ عَمْرًا وبكرٌ خالدًا» على الفاعلِ والمفعولِ مِن غيرِ عطفٍ على عاملينِ مختلفينِ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: ومَن بَناهَا، وإنَّما أوثِرَتْ على (مَن) لإرادةِ مَعنى الوصفيَّةِ، كأنَّهُ قيلَ: والشَّيءِ القادرِ الذي بناها، ودلَّ على وجودِه وكمالِ قُدرَتهِ بناؤُها، ولذلكَ أُفرِدَ ذكرُهُ، وكذا الكلامُ في قولِهِ: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وجعلُ الماءاتِ مصدريَّةً يُجرِّدُ الفعلَ عن الفاعلِ ويخلُّ بنظمِ قولِهِ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بقولِهِ: ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، إلَّا أن يُضمَرَ فيها اسمُ اللهِ للعلمِ بهِ.

وتنكيرُ (نفسٍ) للتَّكثيرِ، كما في قولِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤]، أو للتَّعظيمِ، والمرادُ: نفسُ آدمَ عليهِ السَّلامُ، وإلهامُ الفجورِ والتَّقوى: إفهامُهما وتعريفُ حالِهما والتَّمكينُ مِن الإتيانِ بهما.

(٩) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: أنماها بالعِلْمِ والعَمَلِ، جوابُ القسمِ، وحُذفَ اللَّامُ للطُّولِ، وكأنَّهُ لَمَّا أرادَ بهِ الحثَّ على تكميلِ النَّفسِ والمبالغةَ فيهِ، أقسمَ عليهِ بما يدلُّهم على العلمِ بوجودِ الصَّانعِ ووجوبِ ذاتهِ وكمالِ صفاتِهِ الذي هو أقصى درجاتِ القوَّةِ النَّظريَّةِ، ويُذكِّرُهم عظائمَ آلائهِ ليَحمِلَهم على الاستغراقِ في شُكرِ نعمائِهِ الذي هو مُنتهَى كمالاتِ القوَّةِ العمليَّةِ.

وقيلَ: استطرادٌ بذكرِ بعضِ أحوالِ النَّفسِ، والجوابُ محذوفٌ تقديرُهُ: لَيُدَمْدِمَنَّ اللهُ على كفارِ مكَّةَ لتكذيبِهِم رسولَهُ كما دَمْدمَ على ثمودَ لتكذيبِهم صالحًا.

(١٠) ـ ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: نَقَصَها وأخفاها بالجهالةِ والفُسوقِ، وأصلُ دسَّى: دسَّسَ؛ كـ«تقضَّى وتَقَضَّضَ».

(١١) - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بسببِ طُغيانِها، أو: بما أُوعِدَتْ بهِ مِن عذابِها ذي الطَّغْوى؛ كقوله: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، وأصلُهُ: طَغْيا، وإنما قُلِبت ياؤُهُ واوًا تفرقةً بينَ الاسمِ والصِّفةِ، وقُرِئَ بالضَّمِّ[١] كالرُّجْعَى.

(١٢) - ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾: حينَ قامَ، ظرفٌ لـ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو (طغوى).

﴿أَشْقَىٰهَا﴾: أشقَى ثمودَ، وهو قُدارُ بن سالفٍ، أو هو ومَنْ مالأَهُ[٢] على قتلِ النَّاقةِ؛ فإنَّ أفعلَ التَّفضيلِ إذا أضفتَهُ صَلُحَ للواحدِ والجمعِ، وفَضَّلَ شَقاوَتَهُم لِتولِّيهمُ العَقْرَ.

(١٣) - ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾: أي: ذرُوا ناقةَ اللهِ واحذَرُوا عقرَها ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾: وسَقْيَها، فلا تذودُوها عنها.

(١٤) - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذَّرهم منهُ مِن حُلولِ العذابِ إن فعلُوا ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾: فأَطبقَ عليهم العذابَ، وهو مِن تكريرِ قولهم: ناقةٌ مَدْمُومةٌ؛ إذا أُلْبِسَها الشَّحمُ.

﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾: بسببِهِ ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: فسوَّى الدَّمْدمَةَ بذنْبِهم[٣] أو عليهم، فلم يُفلِت منها صغيرٌ ولا كبيرٌ، أو ثمودَ بالإهلاكِ[٤].

---

(١) أي: (بطُغْواهَا) بضم الطاء. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٣)، و«الكشاف» (٩/ ٦٠٢) عن الحسن.

(٢) في نسخة الخيالي: «والاه». وأشار إليها الشهاب في «حاشيته» قال: وهو بمعناه.

(٣) «بذنبهم» كذا في النسخ، وفي نسخة الشهاب: «بينهم» ولم يذكر فيها اختلافاً، وانظر التعليق الآتي.

(٤) قال الشهاب: «فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم...» يعني: ضمير سواها إمّا للدمدمة فالمعنى أنه جعلها سواء بينهم أو جعلها عليهم سواء، أو الضمير لثمود والمعنى ما ذكر أيضاً.

(١٥) ـ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾؛ أي: عاقبةَ الدَّمدَمَةِ، أو عاقبةَ هلاكِ ثمودَ وتَبِعَتَها فيُبْقيَ بعضَ الإبقاءِ، والواوُ للحالِ، وقرأ نافعٌ وابن عامرٍ: ﴿فلا﴾[1] على العطفِ.

عن النبيِّ ﷺ: «من قرأ سورة ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾ فكأنَّما تصدَّقَ بكلِّ شيءٍ طَلَعتْ عليهِ الشَّمسُ والقمرُ»[2].

***

(١) وقرأ الباقون بالواو. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٩)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٤١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٩٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

# سورة الشمس(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا
يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ
عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ الآية، هذه السوره مكية. ولما قدّم القَسَم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي، وبما هو آلة(2) التفكر في ذلك وهو النفس. وكان آخر ما قبلها مختتماً بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، فاختتم آخر هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك مآلهم في الآخرة إلى النار وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل. وتقدم الكلام على ضحى في طه(3).

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ معناه تبعها دأباً في كل وقت لأنه يستضيء منها فهو

(1) مكية وآياتها خمس عشرة.

(2) ق: له.

(3) انظر تفسير الآية ٥٩ من طه.

يتلوها لذلك.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الظاهر أن مفعول «جلّاها» وهو الضمير، عائد على «الشمس»، لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ أي: يغشى الشمس، فبدخوله تغيب وتظلم الآفاق. ونسبة ذلك إلى الليل مجاز. وأتى بالمضارع في «يغشاها» لأنه الذي ترتّب فيه، ولو أتى بالماضي كالذي قبله وبعده[1]، كان يكون التركيب: إذا غشيها، فتفوت الفاصلة وهي مقصودة.

و«ما» في «وما بناها» و«وما طحاها» و«وما سواها» بمعنى الذي، وقيل مصدرية.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: لم نُكّرت النفس؟ قلت فيه وجهان: أحدهما أن يريد نفساً خاصة من النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس انتهى.

وهذا فيه بُعد، للأوصاف المذكورة بعدها فلا تكون إلا للجنس. ألا ترى إلى قوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ كيف يقتضي التغاير في المزكّى والمدسّى؟.

﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾ قال ابن عباس: عرّفها.

[٥٨٠/ب] ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ جواب القسم وحذفت اللام لطول المعاطيف على

---

(١) ق: وبعدها.

(٢) الكشاف ٤ : ٢٥٨.

القسم. و﴿ زَكَّىٰهَا﴾ طهّرها ونمّاها بالعمل الصالح.

و﴿ دَسَّىٰهَا ﴾ أخفاها وحقّرها بالمعاصي. والتدسية: الإخفاء، أصله دسس، فأبدل من ثالث المضاعف حرف علّة[١]. والظاهر أن فاعل زكّى ودسّى ضمير يعود على «مَن».

ولمّا ذكر تعالى خيبة من دسّى[٢] نفسه، ذكر فرقة فعلت ذلك وهي ثمود صالح، فعلت ذلك ليُعتبر بهم، لأنهم أقرب البلاد إلى الحجاز.

﴿ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾ الباء سببيّة، أي: كذبت ثمود نبيّها بسبب طغيانها. قال ابن عباس: الطغوى هنا: العذاب، كذبوا به حتى نزل بهم. وهو من الطغيان، قلبت فيه الياء واواً فصلاً بين الاسم وبين الصفة.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ أي: خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص. والناصب لـ«إذ»: «كذبت». و﴿ أَشْقَىٰهَا﴾ هو قدار بن سالف.

والضمير في «لهم» عائد على «ثمود». ﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هو صالح عليه السلام. وقرىء: ناقة الله، بنصب التاء وهو منصوب على التحذير مما يجب إضمار عامله، لأنه قد عُطف عليه، فصار حكمه بالعطف حكم المكرّر [كقولك]: الأسد الأسد. أي: احذروا ناقة الله، أي: عَقرها وعاقبة أمرها، أو ذروا عَقْرها وسقياها فلا تمنعوها من السّقيا.

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أسند العقر للجميع لكونهم راضين به ومتمالئين عليه.

---

(١) ق: ثالث المضارع حرف علّته.

(٢) ق: دسّ.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ يقال: دمدم عليه القبر: أطبقه. وقال مؤرج: الدّمدمة: الهلاك باستئصال. وفي الصحاح[١]: دمدمتُ الشيء: ألزقْتَه بالأرض وطَحْطَحْتَه.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: سوّى القبيلة في الهلاك، عاد عليها بالتأنيث كما عاد في «بطغواها». وقيل: سوّى الدمدمة أي سوّاها بينهم فلم يُفلت منهم صغيراً ولا كبيراً.

والضمير في «يخاف» عائد على «أشقاها» أي: انبعث بعقرها، وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه. والعقبى: خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه.

(١) مادة دمم.

## مفردات سورة الشمس

طَحا ودَحا بمعنى واحد، أي: بَسَط ووَطِئ، ويأتي طَحا بمعنى ذَهَب؛ قال عَلْقَمة:

طَحا بك قلبٌ في الحِسانِ طَروبُ[1]

ويقال: ما أدري أين طَحا، أي: ذَهَب؛ قاله أبو عمرو. وفي أيمان العرب: لا، والقَمرِ الطَّاحي، أي: المُشْرِف المُرْتَفِع، ويقال: طحا يَطْحو طَحْواً، ويَطْحي طَحْياً[2].

التَّدْسِيَةُ: الإخفاء، وأصلُه: دَسَس، فأُبدل من ثالث المُضاعَف[3] حَرْفُ عِلَّة، كما قالوا في: تَقَضَّضَ: تَقَضَّى، وقال الشاعر:

وأنت الذي دَسَّسْتَ عَمْراً فأصبحتْ حَلائلُه منه أرامِلَ ضُيَّعا[4]

ويُنْشَد أيضاً:

ودَسَّسْتَ عَمْراً في التُّراب[5] ودَسَّيْت[6]

(١) تمامه: بُعَيد الشباب عصرَ حان مَشيبُ، وهو في ديوان علقمة بن عبدة ٣٣، والمحرر الوجيز ٥/٤٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١١.

(٢) في المطبوع: طحواً، وانظر تهذيب اللغة ٥/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١١.

(٣) في (ت) و(أ) والمطبوع: المضاعفات، والمثبت من (ع) و(يه).

(٤) البيت بهذه الرواية (دسست) في الزاهر لابن الأنباري ١/ ٥٤٣ (البشائر) دون نسبة.

(٥) هذه رواية ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٤٨٨ وفيه: حلائله يبكين للفقد ضعفاً، ولعل ضعفاً تحريف.

(٦) البيت بهذه الرواية في جمهرة اللغة ١٠٥٨ (بعلبكي)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٧٧، ومجمل =

دَمْدَم عليه القَبْرَ: أطْبَقَه، وقال مُؤَرِّج: الدَّمْدَمَةُ: إهْلاكٌ باستئصال[1]. وقال في «الصّحاح»: دَمْدَمْتُ الشَّيءَ: ألْزَقْتُه بالأرض وطَحْطَحْتُه[2].

* * *

## سورة الشمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ① وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ② وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ③ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ④ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ⑤ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ⑪ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ⑮﴾.

هذه السّورة مكية، ولمَّا تقدَّم القَسَم ببعض المواضع الشَّريفة وما بعدها؛ أقسم هنا بشيءٍ من العالَم العُلْويّ والعالَم السُّفليّ، وبما هو آلةُ التَّفكُّر في ذلك وهو النَّفس، وكان آخِرُ ما قبلَها مُخْتَتماً بشيء من أحوال الكفّار في الآخرة، فاختتم آخِرَ هذه بشيءٍ من أحوالهم في الدُّنيا، وفي ذلك بمآلهم[3] في الآخرة إلى النار، وفي الدُّنيا إلى الهَلاكِ المُسْتأصِل.

وتقدّم الكلام على ضُحَى في سورة طه [الآية: ٥٩] في[4] قوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾.

وقال مجاهد هنا: هو ارتفاعُ الضَّوء وكَمالُه. وقال مقاتل: حَرُّها؛ كقوله:

= اللغة ١/ ٣٢٥، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤، واللسان (دسا)، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٥.

(١) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٤٣، والقرطبي ٢٢/ ٣١٨، والثعلبي ٦/ ٤٦٩.

(٢) الصحاح (دمم).

(٣) في (يه): مآلهم.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: عند، والمثبت من (ع) و(يه)، وهما سواء.

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩]. وقال قتادة: هو النَّهار كلُّه[(١)].

وهذا ليس بجيِّد؛ لأنه قد أقسمَ بالنهار، والمعروف في اللُّغة أن الضُّحى هو بُعَيْد طُلوعِ الشَّمسِ قليلاً، فإذا ازداد فهو الضَّحاء ـ بالمَدِّ وفتح الضادَ ـ إلى الزَّوال[(٢)]، وقولُ مُقاتل تفسيرٌ باللَّازم.

وما نُقِل عن المبرِّد من أنَّ الضُّحى مشتقٌّ من الضَّحِّ ـ وهو نورُ الشَّمس ـ والألفُ مقلوبةٌ من الحاء الثانية، وكذلك الواو في ضَحْوَة مقلوبة عن الحاء الثانية: لعلَّه مُخْتلَقٌ عليه[(٣)]؛ لأن المبرِّد أجلُّ من أن يَذهبَ إلى هذا، وهاتان[(٤)] مادَّتان مختلفتان، لا تُشْتَقُّ إحداهما من الأُخرى.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝﴾ قال الحسن والفَرَّاء: «تَلاها» معناه: تَبِعها دَأْباً في كلِّ وقت؛ لأنه يَستضيء منها فهو يَتْلُوها لذلك.

وقال ابن زيد: يَتْلوها في الشَّهر كلِّه، يتلوها في النِّصفِ الأوَّل من الشهر بالطلوع، وفي الآخِر بالغُروبِ.

وقال ابن سلام: في النِّصف الأوَّل من الشهر، وذلك لأنه يأخُذُ مَوْضِعَها ويَسيرُ خلْفَها، إذا غابت تَبِعَها[(٥)] القمرُ طالعاً.

وقال قتادة: إنما ذلك ليلةَ البَدْر، تغيبُ هي فيَطْلُع هو.

وقال الزجَّاج وغيرُه: «تلاها» معناه: امتلأ واسْتَدار، وكان لها تابعاً للمَنْزِلَةِ من الضِّياء والقَدْر؛ لأنه ليس في الكواكب شيءٌ يَتْلو الشَّمسَ في هذا المعنى غير القَمَر.

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٤، والثعلبي ٦/ ٤٦٦، والماوردي ٦/ ٢٨١، والقرطبي ٢٢/ ٣٠٧-٣٠٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧، وزاد المسير ٩/ ١٣٧.

(٢) انظر الكشاف ٤/ ٢٥٧، والصحاح (ضحا).

(٣) نقله عن المبرد القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) في (أ) و(ت) و(ع) و(يه) والمطبوع: وهذان، ولعله من تحريف النساخ، والمثبت من روح المعاني ٢٩/ ٦٢ فقد نقله عن البحر.

(٥) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يتبعها، والمثبت من (يه).

وقيل: من أوَّل الشهر إلى نِصْفه في الغروب، تغرُبُ هي ثمَّ يغرب هو، وفي النِّصف الآخَر بنحوِ آخر[١]؛ وهو أن تغرُبَ هي فيَطْلُع هو.

وقال الزمخشري: تَلاها طالِعاً عند غُروبها آخِذاً من نورِها، وذلك في النِّصف الأوَّل من الشَّهر[٢].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ الظَّاهر أن مفعول «جَلَّاها» وهو الضَّمير عائدٌ على الشمس؛ لأنه عند انْبِساطِ النَّهار تَنْجلي الشمسُ في ذلك الوقت تَمامَ الانْجِلاء. وقيل: يعود على الظُّلْمة. وقيل: على الأرض. وقيل: على الدُّنيا.

والذي يُجَلِّي الظُّلْمَة هو الشمس أو النهار، فإنَّه - وإنْ لم تَطلُع الشمسُ - لا تَبْقى ظُلْمة[٣].

والفاعل بـ «جَلَّاها» ضمير النهار. قيل: ويحتمل أن يكون عائداً على الله تعالى، كأنه قال: والنَّهار إذا جَلَّى الله الشمسَ، فأقسم بالنهار في أكْمَلِ حالاته[٤].

«والليل إذا يَغْشاها» أي: يَغْشَى الشَّمسَ، فبدخوله تغيبُ وتُظْلم الآفاق، ونسبةُ ذلك إلى الليل مَجاز. وقيل: الضمير عائد على الأرض.

والذي تقتضيه الفَصاحةُ أن الضَّمائرَ كلَّها إلى قوله: «يَغْشاها» عائدةٌ على الشَّمس، وكما أنَّ النَّهار جَلَّاها كان النهار هو الذي يَغْشاها.

ولـمَّا كانت الفَواصِلُ تَرتَّبت على ألفٍ وهاء المؤنث، أتى في «والليل إذا يَغْشاها» بالمضارع؛ لأنَّه الذي ترتَّب فيه، ولو أتى بالماضي كالذي قبله وبعده[٥] كان يكون التَّركيب: إذا غَشِيَها، فتفوتُ الفاصِلَةُ وهي مقصودة.

---

(١) في المطبوع: يتحاوران، بدل: بنحو آخر.

(٢) انظر الأقوال السالفة في: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٦، وللزجاج ٥/ ٣٣١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٦، والماوردي ٦/ ٢٨٢، والقرطبي ٢٢/ ٣٠٩، والكشاف ٤/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: الظلمة، والمثبت من (يه)، وهما بمعنى.

(٤) انظر الكشاف ٤/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧-٤٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠.

(٥) في النسخ (أ) و(ت) و(ع) و(يه): وبعدها، والمثبت من المطبوع.

وقال القَفَّال ما مُلَخَّصُه: هذه الأقسامُ بالشَّمس في الحقيقة بحسَب أوصافٍ أربعة: ضوءها عند ارْتِفاعِ النهار وقتَ انتشارِ الحيوان وطَلَب المَعاش، وتُلوّ القمرِ لها بأخْذِه الضَّوءَ، وتكامُل طُلوعها وبُروزِها وغيبوبتها بمَجيء اللَّيل[1].

و«ما» في قوله: «وما بَناها، وما طَحاها، وما سَوَّاها» بمعنى الذي. قاله الحسن ومجاهد وأبو عبيدة، واختاره الطبري، قالوا: لأنَّ «ما» تقعُ على أُولي العلم وغيرِهم.

وقيل: مصدريَّة، قاله قتادة والمبرِّد والزَّجاج، وهذا قولُ من ذهب إلى أن «ما» لا تقع على آحادِ أُولي العلم[2].

وقال الزمخشري: جُعِلت مَصْدريَّة، وليس بالوجه لقوله: «فألْهَمَها» وما يؤدّي إليه من فَسادِ النَّظْم، والوجه أن تكون موصولة، وإنما أُوثِرت على مَنْ لإرادة معنى الوَصْفيَّة، كأنه قيل: والسَّماء والقادرِ العظيم الذي بناها، ونفسٍ والحكيمِ الباهرِ الحكمةِ الذي سَوَّاها، وفي كلامهم: سُبحانَ ما سَخَّرَكُنَّ لنا[3]. انتهى.

أمّا قوله: وليس بالوَجْهِ؛ لقوله: «فألْهَمَها» يعني من عَوْدِ الضَّمير في «فألْهَمَها» على الله تعالى، فيكون قد عاد على مَذْكور وهو «ما» المُرادُ به الذي، ولا يَلْزم ذلك؛ لأنّا إذا جَعَلْناها مصدريَّةً عاد الضَّمير على ما يُفْهَم من سياق الكلام، ففي «بَناها» ضميرٌ عائدٌ على الله تعالى، أي: وبناها هو، أي: الله تعالى، كما إذا رأيتَ زيداً قد ضرب عَمْراً فقلت: عجبتُ ممَّا ضَربَ عَمْراً، تقديرُه: من ضَرْبِ عَمرٍو هو، كان حسناً فصيحاً جائزاً، وعَوْدُ الضَّمير على ما يُفْهَم من سياقِ الكلام كثيرٌ.

---

(١) نقله عن القفال: الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣١/ ١٩١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وعنه نقل الأقوال، وانظر مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٢، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٧-٤٣٨، والماوردي ٦/ ٢٨٢، والقرطبي ٢٢/ ٣١٠، وزاد المسير ٩/ ١٣٩، وإعراب القراءات السبع وعِللها لابن خالويه ٢/ ٣٨٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٨، وفي (ت) والمطبوع: سبحان من، وهو تحريف، والمثبت من (يه) و(ع)، وانظر أمالي ابن الشجري ٢/ ٥٤٨ وتخريج محققه رحمه الله.

وقوله: وما يؤدِّي إليه من فَسادِ النَّظْم؛ ليس كذلك، ولا يؤدِّي جَعْلُها مصدريَّةً إلى ما ذكر.

وقوله: وإنما أُوثرت... إلخ، لا يُراد بما ولا بمَن الموصولتين معنى الوصفيَّة؛ لأنهما لا يُوصَفُ بهما بخلاف «الذي»، فاشتراكُهما في أنهما لا يؤدِّيان معنى الوَصْفيَّةِ موجودٌ فيهما، فلا تَنْفردُ به ما دون «مَن».

وقوله: وفي كلامهم... إلخ؛ تأوَّله أصحابُنا على أنَّ «سُبحان» عَلَم، و«ما» مصدريَّةٌ ظَرْفية[1].

وقال الزمخشري: فإنْ قلتَ: الأمرُ في نَصْبِ «إذا» مُعْضِل؛ لأنَّك إمَّا أنْ تجعلَ الواوات عاطفةً فتنصِبَ بها وتَجُرّ، فتقعَ في العطف على عاملين، وفي نحو قولك: مررتُ أمسِ بزيدٍ واليومَ عمرٍو، وإمَّا أنْ تجعَلَهُنَّ للقسَم فتقَع فيما اتَّفق الخليلُ وسيبويه على استِكْراهه؟ قلت: الجواب فيه أن واوَ القَسَم مُطَّرَحٌ معه[2] إبراز الفعلِ اطِّراحاً كُلِّيًّا، فكان لها شأنٌ خلافَ شأنِ الباءُ، حيث أُبرِز معها الفعلُ وأُضمِر، فكانت الواوُ قائمةً مقامَ الفعل، والباءُ سادَّةً مَسدَّهما معاً، والواوات العَواطِفُ نوائبُ عن هذه، فحَقُّهنَّ أنْ يكنَّ عواملَ على الفعل والجارّ جميعاً، كما تقول: ضرب زيدٌ عَمْراً وبكرٌ خالداً، فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقامَ ضَرب الذي هو عاملُهما. انتهى.

أما قوله في واوات العطف: فتَنْصب بها وتجرّ؛ فليس هذا بالمختار، أعني: أن يكون حرف العطف عاملاً لقيامه مقامَ العامل، بل المختارُ أنَّ العملَ إنما هو للعامل في المعطوف عليه، ثم إنَّا لا نُشاحُّه[3] في ذلك.

وقوله: فتقعَ في العطف على عاملين؛ ليس ما في الآية من العطف على عاملَين، وإنما هو من باب عطفِ اسمين مجرورٍ ومنصوبٍ على اسمَيْن مجرورٍ

(١) ذكر السمين في الدر المصون ١١/ ١٩-٢٠ كلام الزمخشري وردَّ أبي حيان، ثم تعقبَّه وردَّ عليه، فانظره إن شئت.
(٢) في الكشاف ٤/ ٢٥٨، والدر المصون ١١/ ١٤: معها، وهو الأشبه.
(٣) في المطبوع: لا نشاء حجة، وهو تحريف.

ومنصوبٍ، فحرفُ العطف لم يَنُبْ مَنابَ عاملَيْن، وذلك نحو قولك: امْرُر بزيدٍ قائماً وعمرٍو جالساً، وقد أنشد سيبويه في «كتابه»[١]:

فليس بمَعْروفٍ لنا أنْ نَرُدَّها صِحاحاً ولا مُسْتَنْكَرٍ أنْ تُعَقَّرا

فهذا من عطفِ مجرورٍ ومرفوعٍ على مجرور ومرفوع، والعطفُ على عاملَيْن فيه أربعةُ مذاهب، وقد نُسِب الجوازُ إلى سيبويه[٢].

وقوله: وفي نحو قولك: مررتُ أمسِ بزيدٍ واليومَ عمرٍو؛ هذا المثال مخالفٌ لما في الآية، بل وِزانُ ما في الآية: مررتُ بزيدٍ أمسِ وعمرٍو اليوم، ونحن نُجيز هذا.

وأمّا قوله: على استكراه، فليس كما ذَكر، بل كلامُ الخليل يدلُّ على المَنْع؛ قال الخليل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ الواوان الأخيرتان ليستا بمنزلة الأولى، ولكنهما الواوان اللتان تَضُمَّان الأسماء إلى الأسماء في قولك: مررتُ بزيدٍ وعمرٍو، والأولى بمنزلة الباء والتاء. انتهى[٣].

وأمّا قولُه: إنَّ واوَ القَسَم مُطَّرَحٌ معه[٤] إبرازُ الفعلِ اطِّراحاً كليًّا؛ فليس هذا الحكمُ مُجْمَعاً عليه، بل قد أجاز ابن كَيْسان التَّصريحَ بفعل القَسَم مع الواو فتقول: أُقْسِم - أو أَحْلِفُ - والله لزيدٌ قائمٌ[٥].

وأمّا قوله: والواواتُ العَواطفُ نوائبُ عن هذه. . .إلخ؛ فمبنيٌّ على أنَّ حرفَ العطف عاملٌ لنيابته منابَ العامل، وليس هذا بالمختار، والذي نقوله: إن

(١) بعدها في (ع): قول الشاعر، والبيت في الكتاب ١/ ٦٤، وهو للنابغة الجعدي، انظر ديوانه ص٥٠.
(٢) انظر ارتشاف الضرب ٢٠١٥ فما بعدها.
(٣) الكتاب ٣/ ٥٠١.
(٤) في الكشاف والدر المصون: معها، وقد سلف التنبيه عليه.
(٥) انظر رأيه في شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٢٦، وارتشاف الضرب ١٧٦٦.

المُعْضِل هو تقدير[(١)] العامل في إذا بعد الإقسام؛ كقوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٣-٣٤]، ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] وما أشبهها، فـ«إذا» ظرف مُسْتقبل، لا جائزٌ أنْ يكون العاملُ فيه فعل القسم المحذوف؛ لأنَّه فعلٌ إنشائيّ، فهو في الحال يُنافي أنْ يعمل في المستقبَل لاختلافِ[(٢)] زمان العامل وزمان المعمول، ولا جائزٌ أنْ يكون ثَمَّ مضافٌ محذوف أُقيم المُقْسَمُ به مقامَه، أي: وطلوع النَّجم ومجيءِ الليل؛ لأنَّه معمولٌ لذلك الفعل، فالطُّلوعُ حالٌ، ولا يعمل في المستقْبَل ضرورةَ أنَّ زمانَ المعمول زمانُ العامل، ولا جائزٌ أنْ يعملَ فيه نفسُ المُقْسَم به؛ لأنه ليس من قبيل ما يعمل، لا سيَّما إن كان جَرْماً، ولا جائزٌ أن يُقَدَّر محذوفٌ قبل الظرف، فيكون قد عَمِلَ فيه، ويكون ذلك العامل في موضع الحال، وتقديره: والنجم كائناً إذا هَوى، والليل كائناً إذا يَغْشى؛ لأنَّه يَلْزَمُ كائناً أنْ يكون منصوباً بالعامل، ولا يصحُّ أنْ يكون معمولاً لشيءٍ ممّا فَرَضْناه أنْ يكون عاملاً، وأيضاً فقد يكون المُقْسَم به جُثَّةً، وظروفُ الزمان لا تكون أحوالاً عن الجُثَث، كما لا تكون أخباراً[(٣)].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ ونفسٍ: اسمُ جنس؛ ويدلُّ على ذلك ما بعده من قوله: «فألْهَمَها» وما بعده.

وتَسْوِيتُها: إكمالُ عَقْلِها ونَظَرِها؛ ولذلك ارتَبَط به «فألهمَها»؛ لأنَّ الفَاء تقتضي التَّرتيب على ما قبلها من التَّسوية التي هي لا تكون إلا بالعقل[(٤)].

وقال الزمخشري: فإن قلت: لم نُكِّرت النَّفْس؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما:

---

(١) في النسخ والمطبوع: تقرير، والمثبت من الدر المصون ١١/١٦.

(٢) في المطبوع: لإطلاق.

(٣) ذكر السمين في الدر ١١/ ١٤-١٨ كلام الزمخشري، وردَّ أبي حيان، ثم تعقب هو أبا حيان وفصل في الرد عليه، فانظره فإنه نفيس.

(٤) انظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

أن يُريدَ نفْساً خاصَّةً من النفوس، وهي نَفْسُ آدم، كأنه قال: وواحدةٍ من النفوس[١]. انتهى.

وهذا فيه بُعدٌ للأوصاف المذكورة بَعدَها، فلا تكون إلا للجِنْس، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ كيف تقتضي التَّغايُرَ في المُزَكِّي وفي المُدَسِّي.

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ قال ابن جُبَير: أَلْزَمها. وقال ابن عباس: عَرَّفَها. وقال ابن زيد: بَيَّن لها. وقال الزجَّاج: وَفَّقها للتَّقوى.

وأَلْهَمَها فُجورَها؛ أي: خَذَّلَها، وقيل: عَرَّفها وجَعلَ لها قوَّةً يَصحُّ معها اكتسابُ الفُجور واكتسابُ التَّقوى[٢].

وقال الزمخشري: ومعنى إلْهام الفُجور والتَّقوى: إفهامُهما وإعْقالُهما، وأنَّ أحدَهما حَسَنٌ والآخرَ قَبيحٌ، وتمكينُه من اختيار ما شاء منهما؛ بدليل قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ فجعَلَه فاعلَ التَّزكية والتَّدسِية ومُتَولِّيهما، والتَّزكِيَةُ: الإنْماء، والتَّدسِيَةُ: النَّقْصُ والإخْفاءُ بالفُجور[٣]. انتهى. وفيه دَسِيسةُ الاعتزال.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝﴾ قال الزجّاج وغيرُه: هذا جوابُ القَسَم، وحُذفت اللامُ لطولِ الكلام، والتقدير: لقد أفْلَح[٤].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ تقديرُه: لَتُبْعَثُنَّ[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٨.

(٢) انظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٦، والكشف والبيان ٦/ ٤٦٧، ٤٦٨، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٣-٢٨٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٨، وزاد المسير ٩/ ١٤٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) نقله عن الزجاج: ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٤١، والقرطبي ٢٢/ ٣١٣-٣١٤، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨ دون نسبة، ولم نقف عليه في معاني القرآن للزجاج.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٤.

وقال الزمخشري: تقديرُه: لَيُدَمْدِمَنَّ الله عليهم ـ أي: على أهل مكة ـ لتكذيبهم رسولَ الله ﷺ، كما دَمْدَم على ثَمودَ لأنهم كَذَّبوا صالحاً. وأمَّا «قد أفْلَح مَن زَكَّاها» فكلامٌ تابعٌ لقوله: «فألْهَمَها فجُورَها وتَقْواها» على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القَسَم في شيء[1]. انتهى.

و«زَكَّاها» طَهَّرَها ونَمَّاها[2] بالعَمل الصَّالح، و«دَسَّاها» أخفاها وحَقَّرها بعمل المعاصي.

والظَّاهر أن فاعل زَكَّى ودَسَّى ضميرٌ يعودُ على «مَن» وقاله الحسن وغيره.

ويجوز أن يكون ضميرَ الله تعالى. قاله ابن عباس وغيره. كأنه قال: قد أفلحت الفرقة التي زكاها الله. وعاد الضَّميرُ مؤنَّثاً باعتبار المعنى من مُراعاة التأنيث[3].

وفي الحديث ما يَشْهَدُ لهذا التَّأويل؛ كان عليه الصَّلاةُ والسَّلام إذا قرأ هذه الآية قال: «اللهمَّ آتِ نَفْسي تَقْواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَن زَكَّاها، أنت وَلِيُّها ومَوْلاها»[4].

وقال الزمخشري: وأمَّا قولُ مَن زَعَم أن الضَّمير في زَكَّى ودَسَّى لله تعالى، وأن تأنيثَ الرَّاجع إلى «مَن» لأنه في معنى النَّفْس: فمن تَعكيس القَدَريَّة الذي يُوَرِّكون[5] على الله قَدَراً هو بريءٌ منه ومُتَعالٍ عنه، ويُحيون لياليهم في تَمَحُّلِ فاحِشَةٍ يَنْسبونها إليه تعالى[6]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

(٢) في (أ) والمطبوع: وزكاؤها طهورها ونماؤها، والمثبت من (ت) و(ع) و(يه).

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٣، وإعراب القرآن ٥/ ٢٣٦-٢٣٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وزاد المسير ٩/ ١٤١، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٤.

(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٨١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١١٩١) من حديث ابن عباس ﷺ، وفي إسنادهما مقال.
وأخرج أحمد (١٩٣٠٨)، ومسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم آت نفسي تقواها...» الحديث، وليس فيه أنه قرأ هذه الآية.

(٥) أي: يحملون. انظر أساس البلاغة ٢/ ٥٠٢ (ورك).

(٦) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

فجرَى على عادته في سَبِّ أهلِ السُّنَّة، هذا وقائلُ ذلك هو بَحْرُ العلم عبدُ الله بن عباس، والرسول ﷺ يقول: «وزَكِّها أنت خيرُ مَن زَكَّاها».

وقال ثعلب[١]: ﴿دَسَّىٰهَا﴾ في أهل الخيرِ بالرِّياء وليس منهم.

وحين قال: ﴿وَتَقْوَىٰهَا﴾ أعْقَبَه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾، ولمَّا قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أعْقَبَه بأهل الخَيْبَةِ.

ولمَّا ذَكر تعالى خَيْبَةَ مَنْ دَسَّى نفسَه ذكرَ فِرْقةً فعلت ذلك ليُعْتَبَرَ بهم[٢].

«بطَغْوَاها» الباء عند الجمهور سَببيَّة، أي: كَذَّبت ثمودُ نبيَّها بسبب طُغيانها. وقال ابن عباس: الطَّغْوى هنا العذابُ، كذَّبوا به حتى نزل بهم؛ كقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥][٣].

وقرأ الجمهور: «بطَغْواها» بفتح الطَّاء، وهو مصدر من الطُّغيان، قُلبت فيه الياء واواً فَصْلاً بين الاسم وبين الصِّفة، قالوا فيها: خَزْيا وصَدْيا[٤]، وقالوا في الاسم: تَقْوَى وشَرْوى.

وقرأ الحسن ومحمد بن كعب وحَمَّاد بن سَلَمة بضمِّ الطَّاء[٥]، وهو مصدر كالرُّجعى، وكان قياسُها الطُّغْيان بالياء كالسُّقْيا، لكنهم شَذُّوا فيه.

«إذِ انْبَعَثَ» أي: خرجَ لعَقْرِ النَّاقة بنَشاطٍ وحِرْص. والنَّاصب لـ «إذْ»: «كَذَّبت».

---

(١) في المطبوع: وقال تعالى: وهو تحريف، ونقل كلام ثعلب: ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وانظر تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٧، والثعلبي ٦/ ٤٦٨، والماوردي ٦/ ٢٨٥، والقرطبي ٢٢/ ٣١٥-٣١٦.

(٤) لم تجود الكلمة في النسخ والمطبوع، والمثبت من الكشاف ٤/ ٢٥٩، ومعاني الزجاج ٥/ ٣٣٣، والدر المصون ١١/ ٢٣، وروح المعاني ٢٩/ ٧٣.

(٥) القراءات الشاذة ١٧٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٣، والكشف والبيان ٦/ ٤٦٨، والكشاف ٤/ ٢٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٦.

و«أشقاها» هو قُدار بن سالف، وقد يُرادُ به الجماعة؛ لأنَّ أفعل التَّفضيل إذا أُضيف إلى معرفة جاز إفرادُه وإن عُني به جَمْعٌ.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكونوا جماعة؛ لتَسْوِيَتك في أفعل التفضيل إذا أضفتَه بين الواحد والجمع والمذكَّر والمؤنَّث، وكان يجوز أن يقال: أشْقَوْها[1]. انتهى.

فأطلقَ الإضافة، وكان ينبغي أنْ يقول: إلى معرفة؛ لأنَّ إضافتَه إلى نكرة لا يجوز فيه إذْ ذاك إلا أن يكون مُفرَداً مُذَكَّراً كحاله إذا كان بمن.

والظاهر أن الضَّمير في «لهم» عائدٌ على أقرب مَذْكور وهو «أشقاها» إذا أُريد به الجماعة، ويجوز أنْ يعودَ على «ثَمود».

«رسولُ الله»: هو صالح عليه السَّلام.

وقرأ الجمهور: «ناقةَ الله» بنصب التاء، وهو منصوب على التَّحذير مما يجبُ إضمارُ عامله؛ لأنه قد عطف عليه، فصار حُكمُه بالعطف حُكمَ المُكرَّر؛ كقولك: الأسدَ الأسد، أي: احْذَروا ناقةَ الله، أي: عَقْرَها وعاقبةَ أمرِها، أو ذَروا عَقْرَها وسُقْياها فلا تمنعوها من السُّقيا.

وقرأ زيد بن عليّ: «ناقةُ الله» بضمِّ التاء[2]، أي: هَمُّكم ناقةُ الله وسُقياها فلا تفعلوا ذلك.

«فكَذَّبوه» الجمهور على أنهم كانوا كافرين. ورُوي أنهم كانوا قد أسلموا قبل ذلك وتابعوا صالحاً بمدَّة، ثم كذَّبوا وعَقَروا، وأسند العَقْرَ للجماعة لكونهم راضين به ومُتمالئين عليه.

وقرأ الجمهور: «فدَمْدَم» بميم بين دالين[3]. وابن الزُّبير: «فدَهْدَم» بهاءٍ

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

(٢) ذكرها السمين في الدر ١١/ ٢٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٧٥.

(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: بميم بعد دالين، والمثبت من (يه).

بينهما[١]، أي: أطْبَقَ عليهم العذابَ مُكَرِّراً ذلك عليهم.

«بذَنْبِهم» فيه تخويفٌ من عاقبة الذُّنوب.

«فسَوَّاها» قيل: فسَوَّى القبيلةَ في الهَلاك، عاد عليها بالتأنيث كما عاد في «بطَغْواها». وقيل: سَوَّى الدَّمْدَمة، أي: سَوَّاها بينهم، فلم يُفْلِت منهم صغيراً ولا كبيراً.

وقرأ أُبيّ والأعرج ونافع وابن عامر: «فلا يَخاف» بالفاء، وباقي السبعة: «ولا» بالواو[٢].

والضمير في «يخافُ» الظَّاهرُ عَوْدُه على أقرب مَذْكور وهو «ربُّهم» أي: لا دَرَك عليه تعالى في فِعْله بهم، لا يُسأل عمَّا يفعل. قاله ابن عباس والحَسن، وفيه احتقارٌ[٣] لهم وتَعْفِيَةٌ لآثارهم.

وقيل: يحتمل أن يعودَ على صالح، أي: لا يخاف عُقْبَى هذه الفِعْلَةِ بهم؛ إذْ كان قد أنْذَرَهم وحَذَّرَهم.

ومَن قرأ: «ولا» فيحتمل الضَّمير الوجهَين.

وقال السدّي والضحّاك ومُقاتل والزجَّاج وأبو علي: تكون الواوُ واوَ الحال، والضمير في «يخافُ» عائدٌ على «أشْقاها» أي: انْبَعَثَ لعَقْرِها وهو لا يخاف عُقْبَى فِعْلِه لكُفرِه وطُغيانه.

والعُقْبَى: خاتمةُ الشيءِ وما يجيءُ من الأُمور بعَقِبه[٤]. وهذا فيه بُعدٌ لطُولِ الفَصْل بين الحال وصاحبها.

---

(١) القراءات الشاذة ١٧٤ (وفيه تحريف)، وإعراب القراءات السبع وعِللها ٢/ ٤٩١ كلاهما لابن خالويه، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٩.

(٢) السبعة ٦٨٩، والتيسير ٢٢٣، والنشر ٢/ ٤٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩.

(٣) في المطبوع: ذم، بدل: احتقار، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥١-٤٥٢، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٦/ ٤٢٠، وإعراب القرآن ٥/ ٢٤٠، وتفسير الثعلبي ٦/ ٤٦٩، والماوردي ٦/ ٢٨٥، والقرطبي ٢٢/ ٣١٩، وزاد المسير ٩/ ١٤٤.

# (٩١) سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

**قال مجاهد** ﴿والشمس وضحاها﴾ : أي وضوئها، وقال قتادة: ﴿وضحاها﴾ النهار كله . قال ابن جرير : والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار، ﴿والقمر إذا تلاها﴾ قال مجاهد: تبعها، وقال ابن عباس: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ قال: يتلو النهار، وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال . وقال ابن زيد : هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ، ثم هي تتلوه وهو يتقدمها

في النصف الأخير من الشهر، وقوله تعالى: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ قال مجاهد: أضاءها، وقال قتادة: إذا غشيها النهار، وتأول بعضهم ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها[1]. (قلت): ولو أن القائل تأول ذلك بمعنى ﴿والنهار إذا جلاها﴾ أي البسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ إنه كقوله تعالى: ﴿والنهار إذا تجلى﴾، وأما ابن جرير فاختار عود الضمير ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق. وقال بقية: إذا جاء الليل قال الرب جلَّ جلاله: غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل تهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب[2]. وقوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ يحتمل أن تكون (ما) ههنا مصدرية بمعنى: والسماء وبنائها، وهو قول قتادة، ويحتمل أن تكون بمعنى (من) يعني: والسماء وبانيها، وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد - أي بقوة - وإنا لموسعون﴾، وقوله تعالى: ﴿والأرض وما طحاها﴾ قال مجاهد: ﴿طحاها﴾ دحاها، وقال ابن عباس: أي خلق فيها، وقال مجاهد وقتادة والضحّاك: ﴿طحاها﴾ بسطها، وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته أي بسطته، وقوله تعالى: ﴿ونفس وما سوّاها﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾، وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة». وفي صحيح مسلم: «يقول الله عزَّ وجلَّ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». وقوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: بيّن لها الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها. وفي الحديث: أن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم من قدر قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضي عليهم»، قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾[3]

**وقوله تعالى**: ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ المعنى قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، كقوله: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ ﴿وقد خاب من دساها﴾ أي دسسها أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عزَّ وجلَّ، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من دسّى الله نفسه، كما قال ابن عباس[4]. وروى ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة

---

(١) ذكره ابن جرير عن بض أهل اللغة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) رواه أحمد ومسلم.

(٤) هذا القول عن ابن عباس ورد به حديث مرفوع: «أفلحت نفس زكّاها الله عزّ وجلّ» أخرجه ابن أبي حاتم ولكن في إسناده ضعف.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ قال: « اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها »(١) ، وفي رواية عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: « رب أعط نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها »(٢) .

**حديث آخر**: روى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها »(٣) . قال زيد: كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكموهن .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

**يخبر تعالى** عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ أي أشقى القبيلة وهو ( قدار بن سالف ) عاقر الناقة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ الآية، وكان هذا الرجل عزيزاً شريفاً في قومه، نسيباً رئيساً مطاعاً، كما قال الإمام أحمد: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: « ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة »(٤) . وروى ابن أبي حاتم، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله ﷺ لعلي: « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ » قال: بلى، قال: « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا -يعني قرنه- حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته(٥) . وقوله تعالى: ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ ناقة الله ﴾ أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ﴿ وسقياها ﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أي كذبوه فيما جاءهم به ، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة، التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ﴾ أي غضب عليهم فدمّر عليهم، ﴿ فسواها ﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء . قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها، وقوله تعالى: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة(٦) . وقال الضحّاك والسدي: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

**[ آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ولله الحمد والمنة ]**

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .
(٢) أخرجه أحمد .
(٣) أخرجه أحمد ومسلم .
(٤) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن زمعة .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم .
(٦) وكذا قال مجاهد والحسن وبكر المزني وغيرهم .

## تفسير سورة والشمس وضحاها

وهى مكية .

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ و ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ أى : وضوئها . وقال قتادة : ﴿ وَضُحَاهَا ﴾: النهار كله .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (١) .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ : قال مجاهد : تبعها . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ قال : يتلو النهار. وقال قتادة : ﴿ إِذَا تَلاهَا ﴾ ليلة الهلال ،إذا سقطت الشمس رؤى الهلال .

وقال ابن زيد : هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ، ثم هى تتلوه . وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

وقوله : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ : قال مجاهد : أضاء . وقال قتادة : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ : إذا غشيها النهار .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : والنهار إذا جلا الظلمة ، لدلالة الكلام عليها .

قلت : ولو أن هذا القائل تأول [ذلك] (٢) بمعنى ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ أى : البسيطة ، لكان أولى ، ولصح [تأويله فى] (٣) قول الله (٤) : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ ، فكان أجود وأقوى ، والله أعلم . ولهذا قال مجاهد : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ إنه كقوله : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل: ٢] .

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٣٣) .
(٢، ٣) زيادة من م ، أ .
(٤) فى م ، أ : « قوله » .

وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس ، لجريان ذكرها . وقالوا فى قوله : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يعنى : إذا يغشى الشمس حين تغيب ، فتظلم الآفاق .

وقال بَقِيَّة بن الوليد ، عن صفوان ، حدثنى يزيد بن ذى حمامة [1] قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله : غشى عبادى خلقى العظيم ، فالليل يهابه ، والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ : يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية ، بمعنى : والسماء وبنائها . وهو قول قتادة ، ويحتمل أن تكون بمعنى « مَن » يعنى : والسماء وبانيها . وهو قول مجاهد ، وكلاهما متلازم ، والبناء هو الرفع ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أى : بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ . وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧ ، ٤٨] .

وهكذا قوله : ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ : قال مجاهد : ﴿ طَحَاهَا ﴾ : دحاها . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿وَمَا طَحَاهَا ﴾ أى : خلق فيها .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿طَحَاهَا ﴾ : قسمها .

وقال مجاهد ، وقتادة والضحاك ، والسُّدِّى ، والثورى ، وأبو صالح ،وابن زيد :﴿ طَحَاهَا ﴾: بسطها .

وهذا أشهر الأقوال ، وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى: طحوته مثل دحوته ، أى : بسطته .

وقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أى : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة ، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] . وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جَمْعَاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » .

أخرجاه من رواية أبى هريرة [2] .

وفى صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعى ، عن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : إنى خلقت عبادى حُنَفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » [3] .

وقوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى : فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، أى : بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها .

قال ابن عباس : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ : بين لها الخير والشر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة، والضحاك ، والثورى .

---

(١) فى أ : « ذى حماية » .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٣٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) .

وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر . وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا : حدثنا عَزْرَة بن ثابت ، حدثنى يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن أبى الأسود الدّيلى [١] قال : قال لى عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قَدَر قد سبق ، أو فيما يُستَقبَلُون مما أتاهم به نبيهم ﷺ ، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شىء قضى [٢] عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعت منه فزعاً شديداً ، قال : قلت له : ليس شىء إلا وهو خَلقُه ومِلْك يَده ، لا يسألُ عما يفعل وهم يسألون . قال : سددك الله ، إنما سألت لأخبر [٣] عقلك، إن رجلا من مُزَينة ــ أو جهينة ــ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قَدر قد سبق ، أم شىء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ، وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : « بل شىء قد قضى [٤] عليهم » . قال : ففيم نعمل ؟ قال : « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يُهَيِّئه لها ، وتصديق ذلك فى كتاب الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ » .

رواه أحمد ومسلم ، من حديث عَزْرَة بن ثابت به [٥] .

وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه ، أى : بطاعة الله ــ كما قال قتادة ــ وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . ويُروَى نحوه عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير . وكقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤ ، ١٥] .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ أى : دسسها ، أى : أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَى ، حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل .

وقد يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه ، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه ، كما قال [٦] العوفى وعلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى وأبو زُرْعَة قالا : حدثنا سهل [٧] بن عثمان ، حدثنا أبو مالك ــ يعنى عمرو بن هشام ــ عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى قول الله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ قال النبى ﷺ : « أفلحت نفس زكاها الله » [٨] .

ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى مالك ، به . وجويبر [هذا] [٩] : هو ابن سعيد ، متروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس .

---

(١) فى أ : « الديلمى » . (٢) فى أ : « شىء قد قضى » . (٣) فى م : « إنما سألتك لأختبر » .
(٤) فى م : « قضى الله » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٣٥) والمسند (٤/ ٤٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٠) .
(٦) فى م : « كما قاله » . (٧) فى أ : « سهيل » .
(٨) ورواه الديلمى فى مسند الفردوس برقم (٤٦٠٠) من طريق جويبر به .
(٩) زيادة من م .

وقال الطبرانى :حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ وقف، ثم قال: «اللهم آت نفسى تقواها، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها »[1] .

**حديث آخر** : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدنى ، حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموى ، حدثنا مَعْن بن محمد الغفارى ، عن حنظلة بن على الأسلمى ، عن أبى هريرة قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ : ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ قال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » [2] . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، عن نافع ــ يعنى ابن عمر ــ عن صالح بن سُعَيد ، عن عائشة : أنها فَقَدَت النبى ﷺ من مضجعه ، فلمسته بيدها ، فوقعت [3] عليه وهو ساجد ، وهو يقول : « رب ، أعط نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » [4] تفرد به .

**حديث آخر** : قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم ، إنى أعوذ بك من العجز والكَسَل والهرم ، والجُبن والبخل وعذاب القبر . اللهم ، آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم ، إنى أعوذ بك من قَلْب لا يخشع ، ومن نَفْس لا تشبع ، وعِلْم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » . قال زيد : كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكوهن .

رواه مسلم من حديث أبى معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ــ وأبى عثمان النهدى ، عن زيد بن أرقم ، به [5] .

**﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾ .**

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم ، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغى .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **بِطَغْوَاهَا** ﴾ أى : بأجمعها .

والأول أولى ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكذيباً فى قلوبهم بما جاءهم به

---

(١) المعجم الكبير (١١/١٠٦) وزاد : « عن عمرو بن دينار وعطاء بن أبى رباح » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٨) : « إسناد حسن ».

(٢) ورواه ابن أبى عاصم فى السنة برقم (٣١٨) عن يعقوب بن حميد به .

(٣) فى م : « فوثبت » .

(٤) المسند (٦/٢٠٩) .

(٥) المسند (٤/٣٧١) وصحيح مسلم برقم (٢٧٢٢) .

رسولهم من الهدى واليقين .

﴿ إِذِ انۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ أى : أشقى القبيلة ، هو قُدَار بن سالف عاقرُ الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذى قال تعالى : ﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر:٢٩] . وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم، شريفاً فى قومه ، نسيباً رئيساً مطاعاً ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول الله ﷺ ، فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال : « ﴿ إِذِ انۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه ، مثل زمعة » .

ورواه البخارى فى التفسير ، ومسلم فى صفة النار ، والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما [١] ، وكذا ابن جرير وابن أبى حاتم [من طرق] [٢] عن هشام بن عروة ، به [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى يزيد بن محمد بن خُثَيم [٤] ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن محمد بن خُثَيم [٥] أبى يزيد عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلى : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟» . قال : بلى : قال : « رجلان ؛ أحيمر ثمود الذى عَقَر الناقة ، والذى يضربك يا علىّ عَلَى هذا ــ يعنى قَرنه ــ حتى تبتل منه هذه » يعنى : لحيته [٦] .

وقوله : ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ يعنى : صالحاً ، عليه السلام : ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ أى : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ، ﴿ وَسُقۡيَٰهَا ﴾ أى : لا تعتدوا عليها فى سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ أى : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التى أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿ فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ ﴾ أى: غضب عليهم ، فدمّر عليهم ، ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أى : فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء .

قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ،وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم فى عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم [٧] فسواها .

وقوله : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾ : وقرئ : « فلا يخاف عقباها » .

---

(١) فى م : « من سننيهما » .

(٢) زيادة من م .

(٣) المسند (١٧/٤) وصحيح البخارى برقم (٤٩٤٢) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٥) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٧٥) وتفسير الطبرى (١٣٧/٣٠) .

(٤،٥) فى أ : « خيثم » .

(٦) ورواه البخارى فى التاريخ الكبير (٧١/١) عن إبراهيم بن موسى به ، ورواه أبو نعيم فى الدلائل (ص٤٨٥) من طريق محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق به ، وقال البخارى : « هذا إسناد لا يعرف سماع يزيد من محمد ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ولا ابن خثيم من عمار » .

(٧) فى م ، أ : « بذنبهم » .

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وبكر بن عبد الله المزنى ، وغيرهم .

وقال الضحاك والسدى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أى : لم يخف [١] الذى عقرها عاقبة ما صنع .

والقول الأول أولى ؛ لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

## آخر تفسير « والشمس وضحاها »

(١) فى أ : « لم يخف الله » .

## [ تفسير ] سورة والشمس وضحاها

## [ وهي مكية ]

تقدم حديث جابر(١) الذي في الصحيح[١] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لمعاذ : « هلا صليت :بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلىٰ ﴾ ، و ﴿ الشمس وضحاها ﴾ و ﴿ الليل إذا يغشىٰ ﴾ ؟ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

قال مجاهد : ﴿والشمس وضحاها﴾ أي : وضوئها. وقال قتادة : ﴿وضحاها﴾ النهار كله .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهر هو[٢] النهار .

﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ ، [ قال مجاهد : تبعها . وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ ][٣] ، قال : يتلو النهار . وقال قتادة : ﴿ إذا تلاها ﴾ ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رؤي الهلال .

وقال ابن زيد : هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه . وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر.

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الانفطار في فضائلها .

---

[١] - في ت : الصحيحين .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

وقوله: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ قال مجاهد: أضاء. وقال قتاده: ﴿والنهار إذا جلاها﴾: إذا غشيها النهار.

قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، لدلالة الكلام عليها.

قلت: ولو أن هذا القائل تأول بمعنى ﴿والنهار إذا جلاها﴾، أي: البسيطة، لكان أولىٰ [ ويصح تأويله في قوله ][١]: ﴿والليل إذا يغشاها﴾، فكان[٢] أجود وأقوىٰ، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ إنه كقوله: ﴿والنهار إذا تجلىٰ﴾. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله علىٰ الشمس، لجريان ذكرها. وقالوا في قوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾، يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب، فتظلم الآفاق.

وقال بقية بن الوليد، عن صفوان، حدثني يزيد بن ذي حمامة قال: إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله: غشي عبادي خلقي العظيمُ، فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿والسماء وما بناها﴾: يحتمل أن تكون «ما» هاهنا مصدرية، بمعنىٰ: والسماء وبنائها، وهو قول قتادة. ويحتمل أن تكون بمعنىٰ «مَن» يعني[٣]: والسماء وبانيها. وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع، كقوله ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾، أي: بقوة ﴿وإنا لموسعون. والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ وهكذا قوله: ﴿والأرض وما طحاها﴾، قال مجاهد: ﴿طحاها﴾ دحاها. وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿وما طحاها﴾: أي: خلق فيها.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿طحاها﴾ قسمها.

وقال مجاهد، وقتادة، [ والضحاك ][٤]، والسدي، والثوري، وأبو صالح، وابن زيد: ﴿طحاها﴾: بسطها.

وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته، أي: بسطته.

وقوله: ﴿ونفس وما سواها﴾، أي: خلقها سوية مستقيمة علىٰ الفطرة القويمة، كما[٥] قال تعالىٰ: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق

[١] - ما بين المعكوفين في ت: «ولصح قول الله». [٢] - في ز: لكان.

[٣] - في ز: بمعنى.

[٤] - سقط من ز. [٥] - في ز: و.

**الله ﴾** . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه أو**[١] **ينصرانه أو**[٢] **يُمَجّسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جَمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » أخرجاه من رواية أبي هريرة(٢) .

وفي صحيح مسلم(٣) من رواية عياض بن حمَار[٣] المجاشعي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يقول الله – عز وجل – : إنّي خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم**[٤] **عن دينهم** » .

وقوله : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ ، أي : فأرشدها إلىٰ فجورها وتقواها ، أي : بين لها ذلك ، وهداها إلىٰ ما قدر لها .

قال ابن عباس : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ : بين لها الخير والشر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والثوري .

وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر . وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

وقال ابن جرير(٤) : حدثنا ابن بشار[٥] ، حدثنا صفوان بن عيسىٰ ، وأبو عاصم النبيل ؛ قالا : حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثني يحيىٰ بن عقيل ، عن يحيىٰ بن يعمر[٦] ، عن أبي الأسود الدّيلي ؛ قال : قال لي[٧] عمران بن حُصَين : أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضىٰ عليهم مِن قَدر قد سبق ، أو فيما يُستَقبَلُون مما أتاهم به نبيهم صلىٰ الله عليه وسلم، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضي عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلمًا ؟ قال : [ ففزعت منه ][٨] فزعًا شديدًا ، قال : قلت له : ليس شيء إلا وهو [ خَلق ذلك بيده ][٩] ، لا يُسألُ عما يفعل وهم يسألون . قال : سددك الله ، إنما سألت لأخبر عقلك ، إن رجلًا من مُزَينة – أو : جهينة – أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشيء قضي عليهم ومضىٰ عليهم من قدر قد[١٠] سبق ، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم . وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : « بل

(٢) تقدم تخريجه في سورة النساء ، آية : (١١٩) .
(٣) تقدم تخريجه في سورة الأعراف آية : (١٧٢) .
(٤) تفسير الطبري (٢١١/٣٠) .

[١] – في ز : و .
[٢] – في ز : و .
[٣] – في ز ، خ : حماد .
[٤] – في ز : فاختالتهم .
[٥] – في ز ، خ : خالد .
[٦] – في ز ، خ : معمر .
[٧] – سقط من خ .
[٨] – في ز : فقرعت سنه .
[٩] – في ت : « خلقه وملك يده » .
[١٠] – سقط من ز .

شيء [ قد قضي ][١] عليهم » . قال : ففيم[٢] نعمل ؟ قال : « من كان الله خلقه لإحدىٰ المنزلتين يهيئه لها ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ . رواه أحمد(٥) ، ومسلم من حديث عزرة[٣] بن ثابت به .

وقوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ : يحتمل أن يكون المعنىٰ : قد أفلح من زكىٰ نفسه ، أي : بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . ويُروىٰ نحوه[٤] عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير . وكقوله : ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ * وذكر اسم ربه فصلىٰ** ﴾ .

﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ ، أي : دسَّسها ، أي : أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَىٰ ، حتىٰ ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل .

وقد يحتمل أن يكون المعنىٰ : قد أفلح من زكىٰ الله نفسه ، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه ، كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبي حاتم(٦) : حدثنا أبي وأبو زرعة ؛ قالا : حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا أبو مالك - يعني [ عمرو ][٥] بن هشام - عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول في قول الله : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ ، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **أفلحت نفس زكاها الله** » .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به ، وجويبر هو ابن سعيد ، متروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس .

وقال الطبراني(٧) : حدثنا يحيىٰ بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا مر بهذه

---

(٥) المسند (٤/٤٣٨) (١٩٩٩٠) . وأخرجه مسلم في كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته ، حديث (١٠/٢٦٥٠) (١٦/٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٠٢) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه والديلمي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنه - به مرفوعًا .

(٧) معجم الطبراني (١١/١٠٦) (١١١٩١) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/١٤١) : رواه الطبراني وإسناده حسن .

---

[١] - في ز : مضى .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : عروة .

[٤] - في ز : غيره .

[٥] - في ز ، خ : عمرو بن الحارث .

الآية : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ وقف ، ثم قال : « اللّهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » .

( حديث آخر ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدني ، حدثنا عبد اللّه بن عبد اللّه الأموي ، حدثنا معن بن محمد الغفاري ، عن حنظلة بن علي الأسلمي ، عن أبي هريرة قال : سمعت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم يقرأ : « ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، قال : اللّهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد(٨) : حدثنا وكيع عن نافع - يعني[١] ابن عمر - عن صالح بن سُعَيد ، عن عائشة : أنها فَقَدت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم من مضجعه ، فلمسته بيدها ، فوقعت عليه وهو ساجد ، وهو يقول : « رب ؛ أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » . تفرد به .

( حديث آخر ) قال الإمام أحمد(٩) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد اللّه بن الحارث ، عن زيد بن أرقم : قال كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « اللّهم ؛ إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم ، والجبن والبخل وعذاب القبر . اللّهم ، آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللّهم ؛ إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن .

رواه مسلم من حديث أبي معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد اللّه بن الحارث - وأبي عثمان النهدي ، عن زيد بن أرقم ، به .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ

---

(٨) المسند (٢٠٩/٦) (٢٥٨٦٥) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣١/٢) : رواه أحمد ورجاله ثقات . اهـ . وقال في (١١٣/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن سعيد الراوى عن عائشة وهو ثقة .اهـ .

(٩) المسند (٣٧١/٤) (١٩٣٦٣) . ومسلم في كتاب : الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، حديث (٢٧٢٢/٧٢) (٦٣/١٧ - ٦٤) .

---

[١] - في ز ، خ : عن .

فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن ثمود : أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **بطغواها** ﴾ ، أي : بأجمعها .

والأول أولىٰ ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكذيبًا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدىٰ واليقين .

﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، أي : أشقىٰ القبيلة ، وهو قُدَار بن سالف عاقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذي قال تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر * فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ . وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم ، شريفًا في قومه ، نسيبًا رئيسًا مطاعًا ، كما قال الإمام أحمد(١٠) :

حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة .

و[١] رواه البخاري في التفسير ، ومسلم في صفة النار ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما ، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة ، به .

وقال ابن أبي حاتم(١١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا عيسىٰ بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خُثيم ، عن محمد بن كعب

---

(١٠) المسند (٤/١٧) . وأخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ ، حديث (٤٩٤٢) (٨/٧٠٥). ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٤٩/٢٨٥٥) (١٧/٢٧٤) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾، حديث (٣٣٤٠) (٩/٧٥) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الشمس ، حديث (١١٦٧٥) (٦/٥١٥) . والطبرى (٣٠/٢١٤) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١١) المسند (٤/٢٦٣) (١٨٣٧٤) . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : الخصائص ، باب : ذكر أشقى الناس ، حديث (٨٥٣٨) (٦/١٥٣) . كلاهما من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد به مطولًا . قال الهيثمي في « المجمع » (٩/١٣٩) : رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعى لم يسمع من عمار . اهـ . قال الألباني في الصحيحة (١٧٤٣) : ولكن للحديث شواهد من حديث صهيب وجابر بن سمرة وعلى بأسانيد فيها ضعف غير حديث على فإسناده حسن كما قال الهيثمي ... اهـ.

---

[١] - سقط من ز .

القرظي ، عن محمد بن خُثَيم أبي[١] يزيد ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعلي : « ألا أحدثك بأشقىٰ الناس ؟ » . قال : بلىٰ ، قال : « رجلان : **أحيمر ثمود الذي عَقَر الناقة ، والذي يضربك يا علي علىٰ هذا** - يعني قَرنه - **حتىٰ تبتل منه هذه** » يعني لحيته .

وقوله : ﴿ **فقال لهم رسول الله** ﴾ ، يعني : صالحاً عليه السلام : ﴿ **ناقة الله** ﴾ ، أي : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿ **وسقياها** ﴾ ، أي : لا تعتدوا[٢] عليها في سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : ﴿ **فكذبوه فعقروها** ﴾ ، أي : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم[٣] ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله[٤] من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ، ﴿ **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم[٥]** ﴾ ، أي : غضب عليهم ، فدمَّر عليهم ، ﴿ **فسواها** ﴾ ، أي : فجعل العقوبة نازلة عليهم علىٰ السواء .

قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتىٰ تابعه[٦] صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم[٧] فسواها .

وقوله : ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ وقرئ ﴿ **فلا يخاف عقباها** ﴾ .

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة . وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم .

وقال الضحاك والسدي : ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ ، أي : لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع .

والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

## آخر تفسير « والشمس وضحاها » [ ولله الحمد ] .

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز ، خ : ابن .

[٢] - في ز : تعدوا .

[٣] - في ز : وأعقبهم .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في خ : بايعه .

[٧] - في ت : بذنوبهم .

## / سورة الشمس [٣٠١و]

مكّيّة، وهي خمس عشرون[1] آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ أي: ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها. وقيل: الضحوة ارتفاع النهار، والضحى فوق ذلك، والضَّحاءُ بالفتح والمدّ إذا امتدّ النهار وكاد ينتصف.[2]

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ بأن طلع بعد غروبها. وقيل: إذا تلا طلوعه طلوعَها.[3] وقيل: إذا تلاها في الاستدارة وكمال النور.[4]

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ أي: جلّى الشمس، فإنّها تتجلّى عند انبساط النهار، فكأنّه جلّاها مع أنّها التي تبسطه، أو جلّى الظُّلمة أو الدنيا أو الأرض، وإن لم يجرِ لها ذِكر للعِلم بها.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ أي: الشمسَ فيغطّي ضوءها أو الآفاقَ أو الأرضَ، وحيث كانت "الواوات" العاطفة نوائبَ لـ"الواو" الأولى القَسَميّة القائمة مقامَ الفعل و"الباء" سادّةً مسدّهما معًا في قولك: "أقسم بالله" حُقِقنَ أن يعملنَ عملَ الفعل والجارّ جميعًا، كما تقول: "ضَرَب زيد عمرًا وبكرٌ خالدًا".

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ أي: ومَن بناها. وإيثارُ "ما" على "مِن" لإرادة الوصفيّة تفخيمًا، كأنّه قيل: والقادر العظيم الشأنِ الذي بناها. وجعلُها مصدريّةً

---

[1] س: عشرة. | وهو الصحيح، وما في م سهو.
[2] القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٧١/٤.
[3] القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥٣٧/٣.
[4] القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٧١/٤.

مُخِلّ بالنظم الكريم. وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: بسطها مِن كلّ جانب كـ﴿دَحَىٰهَا﴾ [النازعات، ٣٠/٧٩].

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أي: أنشأها وأبدعَها مستعدّةً لكمالاتها. والتنكير للتفخيم، على أنّ المراد نفس آدمَ عليه السلام، أو للتكثير وهو الأنسبُ للجواب.

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ أي: أفهَمَها إيّاهما وعرّفَها حالَهما مِن الحُسن والقُبح وما يؤدّي إليه كلّ منهما، ومكّنها مِن اختيار أيّهما شاءت. وتقديم "الفجور" لمراعاة الفواصل.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: فاز بكلّ مطلوب ونجا مِن كلّ مكروه مِن أنماها وأعلاها بالتقوى، وهو جواب القسم، وحذف "اللام" لطول الكلام.

وتكريرُ ﴿قَدۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيذانِ بتعلُّق القسم به أيضًا أصالةً، / أي: خَسِر مَن نقَصها وأخفاها بالفجور. وأصل "دسّى" "دسّس" كـ"تقضّى" و"تقضّض". وقيل: هو كلام تابع لقوله تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾[1] بطريق الاستطراد، وإنّما الجواب ما حُذف تعويلًا على دلالة قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ عليه، كأنّه قيل: لَيُدَمْدِمَنّ الله تعالى على كفّار مكّة لتكذيبهم رسول الله عليه السلام كما دمدَم على ثمودَ لتكذيبهم صالحًا عليه السلام، وهو على الأوّل استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾. [٣٠١ظ]

والطُّغوى بالفتح: الطُّغيان، والباء للسببيّة، أي: فعلت التكذيب بسبب طغيانها، كما تقول: "ظلمني بجرأته على الله تعالى"، أو صلة للتكذيب، أي:

---

[1] في الآية الثامنة مِن هذه السورة.

كذّبت بما أُوعِدت به مِن العذاب ذي الطَّغوى، كقوله تعالى: ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة، ٥/٦٩]. وقُرئ: "بِطُغْوَاهَا"[١] بضمّ "الطاء" وهو أيضًا مصدر كـ"الرُّجعى".

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ منصوب بـ﴿كَذَّبَتۡ﴾ أو بالطَّغوى، أي: حين قام أشقى ثمودَ وهو قُدار بن سالف، أو هو ومَن تصدّى معه لعَقْر الناقة مِن الأشقياء، فإنّ "أفعَل" التفضيل إذا أضيفَ يصلح للواحد والمتعدِّد والمذكّر والمؤنّث. وفضلُ شقاوتهم على مَن عداهم لمباشرتهم العَقْرَ مع اشتراك الكلّ في الرضى به.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ﴾ أي: لثمودَ ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أي: صالح عليه السلام عُبّر عنه بعنوان الرسالة إيذانًا بوجوب طاعته وبيانًا لغاية عتوّهم وتماديهم في الطغيان، وهو السرّ في إضافة الناقة إليه تعالى في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ذروا ناقةَ الله ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾ ولا تذودوها عنها في نوبتها، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: في وعيده بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأعراف، ٧٣/٧]. وقد جُوّز أن يكون ضمير ﴿لَهُمۡ﴾ للأشقَين.[٢] ولا يُلائمه ذِكر ﴿سُقۡيَٰهَا﴾. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: الأشقى، والجمع على تقدير وحدته لرِضى الكلّ بفعله.

وقال قتادةُ: بلغنا أنّه لم يعقِرها حتّى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذَكَرهم وأُنثاهم.[٣] وقال الفرّاء: عقرها اثنان، والعرب تقول: هذان أفضل الناس.[٤]

/ ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم﴾ فأطبق عليهم العذاب، وهو مِن تكرير قولهم: "ناقة مدمومة" إذا ألبسها الشحم. ﴿بِذَنۢبِهِمۡ﴾ بسبب ذنبهم المحكي. والتصريحُ بذلك مع دلالة "الفاء" عليه للإنذار بعاقبة الذنب ليعتبِر به كلّ مذنِب. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: الدمدمةَ بينهم لم يُفلِت منهم أحد مِن صغير وكبير، أو فسوّى ثمودَ بالأرض، أو سوّاها في الإهلاك. [٣٠٢و]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن مجالد وابن نبهان وأبي عمرو أربعتهم عن عاصم، وابن عمرَ عن يحيى عن أبي بكر، وأبي الربيع، والزّهراني وحسين الجُعفي كلاهما عن حفص. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥١٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٢٨.

٢ كما في الكشّاف للزمخشري، ٥٧٣/٤.

٣ القول في اللباب لابن عادل، ٣٦٦/٢٠.

٤ انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢٦٨/٣؛ ونُقل عن الفرّاء في اللباب لابن عادل، ٣٦٦/٢٠.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: عاقبتَها وتبِعَتها، كما يخاف سائر المُعاقِبين مِن الملوك، فيُبقي بعضَ الإبقاء؛ وذلك أنّه تعالى لا يفعل فعلًا إلّا بحقّ، وكلّ مَن فعل بحقّ فإنّه لا يخاف عاقبةَ فعله، وإن كان مِن شأنه الخوف. و"الواو" للحال أو للاستئناف. وقُرئ: "فَلَا يَخَافُ"،[1] وقُرئ: "وَلَمْ يَخَفْ".[2]

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿وَالشَّمْسِ﴾ فكأنّما تصدَّق بكلّ ما طلعت عليه الشمس والقمر».[3]

---

١ قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٤٠١/٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٢٨-١٩٢٩.

٣ الكشف والبيان للثعلبي، ٤١٦/٢٩ (الشمس، ١/٩١)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٩٤/٤ (الشمس، ١/٩١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٧٣/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٩١

# سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، خمسَ عشْرةَ آيةً.

## بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والشَّمسِ وضُحاها﴾: ضوئها، ٢ ـ ﴿والقَمَرِ إذا تَلاها﴾: تبعها طالعًا عند غُروبها، ٣ ـ ﴿والنَّهارِ إذا جَلاَّها﴾ بارتفاعه، ٤ ـ ﴿واللَّيلِ إذا يَغشاها﴾: يُغطِّيها بظُلمته ـ «وإذا» في الثلاثة لمُجرّد الظرفيّة، والعامل فيها فِعل القسم ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿والسَّماءِ وما بَناها، والأرضِ وما طَحاها﴾: بسَطَها، ٧ ـ ﴿ونَفْسٍ﴾ بمعنَى: نُفوس ﴿وما سَوّاها﴾ في الخِلقة ـ «وما» في الثلاثة: مصدريّة.............

---

سُورَةُ الشَّمْسِ

قولُهُ: (ضَوئِهَا) إذا أشرَقَت.

قولُهُ: (تَبِعَهَا) أي: تَلا طلوعُهُ غروبَها ليلَةَ البَدرِ، أو طلوعَها أوَّلَ الشَّهرِ، أو تلاهَا في الاستدارَةِ وكمالِ النُّورِ.

قولُهُ: (بارتِفَاعِهِ) يعني: جلَّى الشَّمسَ، فإنَّها تتجَلَّى إذا انبسَطَ النَّهارُ فيكونُ الإسنادُ مَجازيًّا، أو الظُّلمةَ أو الدُّنيا، أو الأرضَ وإن لم يجرِ ذكرُها للعِلمِ بها.

قولُهُ: (يُغَطِّيهَا) أي: يُغَطِّي ضوءَها، أو الآفاقَ، أو الأرضَ، ولعلَّ العدُولَ عن الماضِي مراعاةٌ للفَاصِلةِ.

قولُهُ: (بمَعنَى: نُفُوسٍ) يعني: التَّنكيرُ للتَّكثيرِ كما في قولِهِ: ﴿عَلِمَت نَفسٌ﴾ [التكوير: ١٤]، أو للتَّعظيمِ، والمرادُ: نفسُ آدَم.

قولُهُ: (مَصدَرِيَّةٌ) فيه أنَّها تجرِّدُ الفعلَ عن الفاعلِ، وتُخلُّ بنَظمِ قولِهِ: ﴿فَأَلهَمَهَا﴾ بقولِهِ: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾، إلا أن يُضمرَ فيه اسمُ الله تعالى للعلمِ به.

أو بمعنى: مَن ـ ٨ ـ ﴿فألهَمَها فُجُورَها وتَقْواها﴾: بيَّنَ لها طريقَي الخير والشرّ ـ وأُخّر التقوى رِعايةً لرؤوس الآيِ ـ وجوابُ القسم: ٩ ـ ﴿قَد أفلَحَ﴾، حُذفتْ منه اللام لطُول الكلام، ﴿مَن زَكّاها﴾: طهّرها من الذنوب، ١٠ ـ ﴿وقَد خابَ﴾: خسر ﴿مَن دَسّاها﴾: أخفاها بالمَعصية. وأصله «دَسَّسَها» أُبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا.

١١ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولَها صالحًا ﴿بِطَغواها﴾ بسبب طُغيانها، ١٢ ـ ﴿إذِ انبَعَثَ﴾: أسرع ﴿أشقاها﴾، واسمُه قُدارٌ إلى عَقر الناقة برِضاهم، ١٣ ـ ﴿فقالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ﴾ صالحٌ: ﴿ناقةَ اللهِ﴾، أي: ذَرُوها ﴿وسُقياها﴾: وشِربَها في يومها. وكان لها يوم ولهم يوم.

١٤ ـ ﴿فكَذَّبُوهُ﴾ في قولِه ذلك عن الله المُرتِّب عليه نُزولُ العذاب بهم، إن خالفوه، ﴿فعَقَرُوها﴾: قتلوها ليسلم لهم ماء شِربها، ﴿فدَمدَمَ﴾: أطبقَ ﴿علَيهِم رَبُّهُم﴾ العذابَ ﴿بِذَنبِهِم فسَوّاها﴾ أي: الدمدمةَ عليهم، أي: عَمَّهم بها فلم يُفلِتْ منهم أحد، ١٥ ـ ﴿ولا﴾ ـ بالواو والفاء ـ ﴿يَخافُ﴾ تعالى ﴿عُقباها﴾: تَبِعَتها.

---

قولُهُ: (أو بِمَعنَى مَنْ) وإنَّما أوثِرَت ﴿ما﴾؛ لإرادةِ مَعنى الوصفيَّةِ المنبئَةِ عن التَّعظيمِ، كأنَّه قيل: والشَّيءِ القادِرِ الذي بناها ودلَّ على وجودِهِ وكمالِ قدرَتِهِ بناؤُها.

قولُهُ: (رِعَايَةً) أو لأنَّ الغالبَ تأخُّرُ التَّقوى، أو للإشعارِ بأنَّ المدارَ على العاقبَةِ.

قولُهُ: (طَهَّرَهَا) أو أنماها بالعلمِ والعمَلِ.

قولُهُ: (بالمَعصِيَةِ) أو بالجهالَةِ والفسوقِ.

قولُهُ: (بسَبَبِ طُغيَانِهَا) وأصلُهُ: طَغياً، وإنَّما قلبَت ياؤُهُ واواً؛ تفرقَةً بين الاسمِ والصِّفةِ.

قولُهُ تَعالَى: (﴿إذِ انبَعَثَ﴾) أي: حينَ قامَ، ظَرف لـ﴿كَذَّبَت﴾.

قولُهُ: (بِرِضَاهُم) وفضلِ شَقاوَتِهِ لتولِّيهِ العقرَ.

قولُهُ: (ذَرُوهَا) واحذَروا عقرَها.

قولُهُ: (وشِربَهَا) ولا تمنعُوها عنها.

قولُهُ: (أي: الدَّمدَمَةَ) أو ثمودَ بالإهلاكِ.

قولُهُ: (بالواوِ) للحالِ.

قولُهُ: (والفَاءِ) للعطفِ، نافعٌ وشاميٌّ[1].

قولُه: (تَبِعَتَهَا) أي: عاقبَةَ الدَّمدمَةِ، أو عاقبَةَ هَلاكِ ثَمودَ، فيُبقيَ بعضَ الإبقاءِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٩).

# سورة الشمس

مكيةٌ بلا خلاف، وآيها سِتَّ عشرةَ آيةً في المكي والمدني الأول، وخمسَ عشرةَ في الباقية[1].

ولمَّا خَتم سبحانه السورة المتقدِّمة بذِكْر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، أعاد جلَّ شأنه في هذه السورة الفريقين على سبيل الفَذْلكة بقوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

وفي هذه ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ وهو كالبيان لقوله تعالى في الأولى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ على أول التفسيرين.

وخَتَمَ سبحانه الأولى بشيءٍ من أحوال الكَفَرة في الآخرة، وخَتَمَ جَلَّ وعلا هذه بشيءٍ من أحوالهم في الدنيا، فقال عزَّ من قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ أي: ضوئها كما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس[2]، والمراد: إذا أشرقت وقامَ سُلْطانها.

وقال بعض المحققين: حقيقةُ الضُّحى تباعُدُ الشمس عن الأفق الشرقي المرئي، وبروزُها للناظرين، ثم صار حقيقةً في وقته، ثم إنه قيل لأول الوقت:

---

(١) في هامش الأصل: اختلافها «فعقروها» مكي والمدني الأول.

(٢) المستدرك ٢/ ٥٢٤.

ضَحْوة، ولِما يليه: ضُحى، ولِمَا بعده إلى قريب الزوال: ضَحاء بالفتح والمدِّ، فإذا أُضيف إلى الشمس فهو مجازٌ عن إشراقها كما هنا.

ونُقِلَ عن المبرّد أنَّ الضُّحى مشتقٌّ من الضّحِّ، وهو نورُ الشمس، والألفُ مقلوبةٌ من الحاءِ الثانية، وكذلك الواو من ضحوة مقلوبةٌ منها.

وتعقبه أبو حيان بقوله: لعلَّه مُخْتَلَقٌ عليه؛ لأنَّ المبرّد أَجلُّ من أن يذهب إلى هذا، وهاتان مادَّتان مختلفتان، لا تُشتَقُّ إحداهما من الأخرى[1].

وأجيب بأنه لم يُرِد الاشتقاقَ الصغير، ولا يخفى حالُهُ على الصغير والكبير.

وعن مقاتلٍ: أنَّ ضُحَاها: حَرّها، وهو تفسيرٌ باللازم.

وعن قتادة[2]: المراد به النهار كلُّه، وفيه أنه تعالى أقسم به بُعَيدَ ذلك.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ أي: تَبِعها، فقيل: باعتبار طلوعه وطلوعها، أي: إذا تلا طلوعُهُ طلوعَها بأنْ طَلَعَ من الأفق الشرقي بعد طلوعها، وذلك أول الشهر، فإنَّ الشمسَ إذا طلعتْ من الأفق الشرقي أولَ النهار، يطلعُ بعدها القمر، لكن لا سلطانَ له، فيُرى بعد غروبها هلالاً، ومناسبةُ ذلك للقسم به لأنه وَصْفٌ له بابتداء أمره، فكما أنَّ الضُّحى كشباب النهار، فكذا غُرَّةُ الشهر كولادته.

وقيل: باعتبار طلوعه وغروبها، أي: إذا تلا طلوعُهُ غروبَها، وذلك في ليلة البدر رابعَ عَشَرَ الشهر، فإنه حينئذٍ في مقابلة الشمس، والبعدُ بينهما نصفُ دور الفلك، فإذا كانت في النصف الفوقاني منه ـ أعني ما يلي رؤوسنا ـ كان القمرُ في التحتاني منه، أعني ما يلي أقدامنا، فإذا غربتْ طَلَعَ من الأفق الشرقي. وهو المرويُّ عن قتادة، وقولهم: سُمِّيَ بدراً؛ لأنه يسبقُ طلوعُهُ غروبَ الشمس، فكأنه بَدَرَها بالطلوع، لا ينافيه؛ لأنه مبنيٌّ على التقريب، ومناسبةُ ذلك للقَسَم به لأنه وقتُ ظهور سلطانه، فيناسبُ تعظيم شأنه.

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.
(٢) في الأصل و(م): مقاتل، وهو خطأ، والمثبت من البحر ٨/ ٤٧٨، والكلام منه.

وقال ابن زيد: تَبِعَها في الشهر كلِّه، ففي النصف الأول تَبعَها بالطلوع، وفي الآخر بالغروب. ومراده ما ذُكِرَ في القولين.

وقيل: المراد تَبِعَها في الإضاءة بأن طَلَعَ وظهر مضيئاً عند غروبها، آخذاً من نورها، وذلك في النصف الأول من الشهر، فإنه فيه يأخذ كلَّ ليلةٍ منه قَدْراً من النور، بخلافه في النصف الثاني، وهو مرويٌّ عن ابن سلام، واختاره الزمخشري[١].

وقال الحسن والفراء كما في «البحر»[٢]: أي: تبعها في كلِّ وقتٍ؛ لأنه يستضيءُ منها، فهو يتلوها لذلك.

وأنكر بعضُ الناس ذهابَ أحدٍ من السلف إلى أنَّ نورَ القمر مستفادٌ من ضوء الشمس، وزَعَمَ أنه رأيُ المنجِّمين لا غير، وما ذُكِرَ حُجَّةٌ عليه، والحُجَّةُ عن أصل المسألة أظهرُ من الشمس، وهي اختلافُ تشكُّلاته النورية قُرْباً وبُعْداً منها، مع ذهاب نوره عند حَيلولة الأرض بينه وبينها، وكون الاختلاف لاحتمال أن يكونَ أحدُ نصفيه مضيئاً والنصفُ الآخر غيرَ مضيءٍ، وأنه يتحرَّكُ على محوره حركةً وَضْعيةً حتى يُرى كلُّ نصفٍ منهما تدريجاً، وكون ذهاب النور عند الحيلولة لاحتمال حيلولة جسمٍ كثيفٍ بيننا وبينه لا نراه، أضعفُ من حبال القمر كما لا يخفى.

وقال الزجاج[٣] وغيره: «تلاها» معناه: امتلأ واستدار، فكان تابعاً لها في الاستدارة وكمال النور.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّنَهَا ۝٣﴾ أي: جلَّى النهارُ الشمسَ، أي: أظهرها، فإنها تتجلَّى وتظهرُ إذا انبسطَ النهارُ ومضى منه مدَّة، فالإسنادُ مجازيٌّ كالإسناد في نحو: صامَ نهارُه.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٢٥٨.
(٢) ٨/ ٤٧٨.
(٣) في معاني القرآن ٥/ ٣٣١.

وقيل: الضميرُ المنصوبُ يعودُ على الأرض.

وقيل: على الدنيا. والمراد بها وجهُ الأرض وما عليه.

وقيل: يعود على الظلمة، و«جلّاها» حينئذٍ بمعنى أزالها.

وعدمُ ذِكْرِ المرجع على هذه الأقوال للعلم به، والأولُ أولى لِذِكْرِ المرجع واتِّساق الضمائر.

وجَوَّزَ بعضُهم أن يكونَ الضميرُ المرفوعُ المستترُ في «جلّاها» عليه عائداً على الله عزَّ وجلَّ، كأنه قيل: والنهار إذا جلَّى اللهُ تعالى الشمسَ. فيكونُ قد أقسم سبحانه بالنهار في أكمل حالاته، وهو كما ترى.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ أي: الشمس، فيغطِّي ضوءَها، والإسنادُ كما مرَّ. وقيل: أي: الأرض. وقيل: أي: الدنيا.

وجيء بالمضارع هنا دون الماضي كما في السابق بأن يقال: إذا غَشِيَها، قال أبو حيان: رعايةً للفاصلة[1]. ولم يقل: غشَّاها؛ لأنه يحتاج إلى حَذْفِ أحد المفعولين لتعدِّيه إليهما، فإنه يقال: غَشَّيْتُهُ كذا كما قال الراغب[2]، كذا قيل.

وقال بعض الأجِلَّة: جيءَ بالمضارع للتنبيه على استواء الأزمنة عنده تعالى شأنه.

وقال الخفاجي: الأَوْلَى أن يقال: المراد بالليل الظلمةُ الحادثةُ بعد[3] الضوء، لا العدمُ الأصليُّ والظلمةُ الأصلية، فإنَّ هذه أظهرُ في الدلالة على القدرة، وهي مستقبلةٌ بالنسبة لما قبلها، فلا بدَّ من تغيير التعبير ليدلَّ على المراد[4].

واستصعب الزمخشريُّ الأمر في نَصْبِ «إذا» بأنَّ ما سوى الواو الأُولى إن كانت عاطفةً لَزِمَ العَطْفُ على معمولَي عاملين مختلفين، كعطف النهار مثلاً على

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٧٨.
(٢) في المفردات (غشي).
(٣) في (م): بعدم، وهو تصحيف.
(٤) حاشية الشهاب ٨/ ٣٦٤.

الشمس المعمول لِحَرْفِ القَسَم، وعَطْفِ الظرف ـ أعني «إذا» في «إذا جلّاها» ـ على نظيرتها في «إذا تلاها» المعمولة لفعل القَسَم، وإن كانت قَسَمِيةً لَزِمَ اجتماعُ المقسَمات[١] المتعدِّدة على جوابٍ واحدٍ، وقد استكرهه الخليلُ وسيبويه، وأجاب باختيار الشِّقِّ الأول، ونفى ما لَزِمَه فقال: إنَّ واوَ القَسَمِ مُطَّرَحٌ معها إبرازُ الفعل اطِّراحاً كُلِّيًا[٢]، فكان لها شأنٌ خلاف شأن الباء، حيث أُبرِزَ معها الفعلُ تارةً، وأُضمِرَ أخرى، فكانت الواو قائمةً مقامَ فعل القَسَم وبائه[٣] سادَّةً مسدَّهما معاً، والواواتُ والعواطفُ نوائبُ عن هذه الواو، فهي عاملةُ الجرِّ وعاملةُ النَّصْبَ، فالعطفُ من قبيل العَطْفِ على معمولَي عاملٍ واحدٍ، وهذا كما تقول: ضَرَبَ زيدٌ عَمْراً وبكرٌ خالداً، فترفعُ بالواو وتنصبُ لقيامها مقامَ «ضَرَب» الذي هو عاملهما[٤]. انتهى.

وأنت تعلم أنَّ أولَ الواوات العواطف هاهنا ليس معها ما تعملُ فيه النصب، فلعلَّه أراد أنها تعملُ ذلك إن كان هناك منصوبٌ، أو هي عاملةٌ باعتبار أنَّ معنى «والشمس وضحاها»: والشمس وضوئها إذا أشرقت.

وفيه أيضاً أنه لم يقلْ أحدٌ بأنَّ الحروفَ العواطفَ عواملُ.

وأيضاً الإشكالُ مبنيٌّ على امتناع العطف على معمولَي عاملين مطلقاً، حتى لو جُوِّزَ مطلقاً أو بشرطِ كون المعطوف مجروراً على ما ذهب إليه جمعٌ، كما في قولك: في الدار زيدٌ والحجرةِ عمروٌ، لم يكن إشكالٌ.

وأيضاً هو مبنيٌّ على قبول هذا الاستكراه، وعدمِ إمكان التخلُّص من الاجتماع بتقدير جوابٍ لكلٍّ من المقسمات، حتى إذا لم يُقبلْ أو قُبِلَ وقُدِّرَ لكلٍّ جوابٌ لم يبقَ إشكالٌ.

---

(١) في الأصل: القسمات.
(٢) في هامش الأصل: وصرح ابن كيسان بجواز التصريح بفعل القسم مع الواو، فلا تغفل.
(٣) في (م): وباؤه.
(٤) في (م): عاملها. والمثبت من الأصل والكشاف ٤/ ٢٥٨.

وأيضاً هو مبنيٌّ على أنَّ «إذا» ظرفيةٌ، وهو ممنوعٌ؛ لجواز أن تكونَ قد تجرَّدت عن الظرفية، وحينئذٍ تكونُ بدلاً مما بعد الواو، كما قيل في قوله:

وبعد غدٍ يا لهفَ نفسي من غدٍ إذا راحَ أصحابي ولستُ برائح[1]

إنَّ «إذا» بدلٌ من «غد»، وعلى تسليم أنها ظرفيةٌ يجوزُ أن يُقدَّرَ مع كلٍّ مضافٌ تتعلَّقُ به، كأنْ يُقدَّر: وتُلُوِّ القمر إذا تلاها، وتجليةِ النهار إذا جلّاها، وغشيانِ الليل إذا يغشاها، أو تُجعلَ متعلِّقةً بمحذوفٍ وَقَعَ حالاً مقدَّرةً مما تليه، أي: أقسم بالقمر كائناً إذا تلاها، وبالليل كائناً إذا جلّاها، كما زعمه بعضهم. وفيه بحثٌ.

وأيضاً يَرِدُ على الزمخشري مثلُ قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧-١٨] لأنَّ الواو هنالك عاطفةٌ، وقد تقدَّم صريحُ فعل القَسَم كما ذكره الشيخ ابن الحاجب، على أنَّ التحقيقَ ـ كما قال بعضُ المحققين ـ أنَّ الظرفَ ليس معمولاً لفعل القَسَم؛ لفساد المعنى إذ[2] التقييدُ بالزمان غيرُ مرادٍ، حالاً كان أو استقبالاً، وإنما هو معمولُ مضافٍ مقدَّرٍ من نحو العَظَمة؛ لأنَّ الإقسامَ بالشيء إعظامٌ له، فكأنه أقسمَ بعَظَمة زمان كذا.

وما قيل عليه من أنَّ إقسامه تعالى بشيءٍ مستعارٌ لإظهار عَظَمته وإبانة شَرَفه، فيجوزُ تقييدُهُ باعتبار جزءِ المعنى المراد، يعني: الإظهار، وأيضاً إذا كان الإقسامُ إعظاماً لَغَا تقديرُهُ = فلو سُلِّم فالاستعارةُ إما تبعيةٌ أو تمثيليةٌ، وعلى كلِّ حالٍ فليس ثمةَ ما يكون متعلّقاً[3] بحسب الصناعة والتقدير ليتعلق به وليظهر ما أُريد منه مؤكّداً، فلا لَغْوِيةَ.

﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ أي: ومَنْ بناها، وإيثارُ «ما» على «مَنْ» لإرادة الوصفية تفخيماً على ما تقدم في «وما ولد»، كأنه قيل: والقادرِ العظيم الشأن الذي بناها، ودلَّ على وجوده وكمال قدرته بناؤها[4]، والمراد به إيجادها بحيث تدلُّ على ذلك،

---

(١) قائله أبو الطمحان القيني كما في حماسة المرزوقي ٣/ ١٢٦٦.
(٢) في (م): إذا، والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب ٨/ ٣٦٥، والكلام منه.
(٣) في حاشية الشهاب: متعلقاً به.
(٤) في (م): بناؤهما.

ويُستدلُّ بها عليه، وهو أولى من تفسيره ببانيها؛ لإشعاره بالمراد من البناء[١]، وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ أي: بسطها من كلِّ جانب ووطأها كدحاها، ويكون طحا بمعنى ذهب، كقول علقمة:

طَحا بكَ قلبٌ في الحسان طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ[٢]

وبمعنى أَشْرَف وارتفع، ومن أيمانهم: لا، والقمر الطاحي، ويقال: طَحَا يطحو طَحْواً، وطَحَى يَطْحَى طَحْياً.

وقوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ أي: أنشأها وأبدعها مستعدَّةً لكمالها، وذلك بتعديل أعضائها وقواها الظاهرة والباطنة، والتنكيرُ للتكثير، وقيل: للتفخيم، على أنَّ المرادَ بالنفس آدم عليه السلام. والأولُ أنسبُ بجواب القَسَم الآتي، ومَنْ ذهب إلى ذلك جعله من الاستخدام.

وذهب الفرَّاء والزجَّاج والمبرّد وقتادة وغيرهم إلى أنَّ «ما» في المواضع الثلاث مصدرية، أي: وبنائها وطَحْوِها وتسويتها[٣]. وتعقَّبه الزمخشريُّ بأنه ليس بالوجه؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ وما يؤدِّي إليه من فساد النَّظْم[٤]. وذلك على ما في «الحواشي» لما يلزم من عَطْفِ الفعل على الاسم، وأنه لا يكون له فاعلٌ، لا ظاهرٌ - وهو ظاهرٌ - ولا مُضْمَرٌ لعدم مرجعه.

واعتُرض بأنَّ الأخيرَ منتقضٌ بالأفعال السابقة، أعني: «بناها»، «طحاها»، «سوّاها»، على أنَّ دلالةَ السياق كافيةٌ في صِحَّةِ الإضمار، وأما الأول ففيه أنَّ عَطْفَ الفعل على الاسم ليس بفاسدٍ وإن كان خلافَ الظاهر. على أنه عَطْفٌ على ما بعد «ما»، كأنه قيل: ونفسٍ وتسويتها، فإلهامها فجورَها وتقواها. واعتُرض هذا بأنَّ الفاءَ يدلُّ على الترتيب من غير مُهْلة، والتسويةُ قبل نفخ الروح، والإلهامُ بعد البلوغ.

(١) في هامش (م): وهو أنه ذكر للاستدلال.
(٢) ديوان علقمة بن عبدة ص ٣٣.
(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤، وللزجاج ٥/ ٣٣٢.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٨.

وأجيب بأنَّ التسويةَ تعديلُ الأعضاء والقوى، ومنها المفكرة، والإلهامُ عبارةٌ عن بيان كيفية استعمالها في النجدين في هذا المحلِّ، وهو غيرُ مفارقٍ عنه منذ سُوِّيَ، نعم يزدادُ بحَسَبِ ازدياد القوى كيفيةً لا وجوداً، على أنَّ المهلةَ في نحوها عُرفيٌّ، وقد يُعَدُّ متعقّباً دون تراخٍ، ثم إنه مشترك الإلزام، ولا معنى لقول الطيبي: النَّظْمُ السَّريُّ يُوجبُ موافقةَ القرائن، فلا يجوز: ونفسٍ وتسويتها، فألهمها الله فهي حاصلةٌ، وإنما ذلك بناءً على توهُّم أنَّ قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ جملةٌ. وبالجملة لا يلوحُ فسادُ هذا الوجه.

وأبى القاضي عبد الجبار إلا المصدريةَ دون الموصولية، قال: لما يلزمُ منها تقديمُ الإقسام بغير الله تعالى على إقسامه سبحانه بنفسه عزَّ وجلَّ.

وأجاب عنه الإمامُ بأنَّ أعظمَ المحسوساتِ الشمسُ، فَذَكَرها الله تعالى مع أوصافها الأربعة الدالة على عِظَمها، ثم ذَكَرَ سبحانه ذاته المقدَّسة، وَوَصَفَها جلَّ وعلا بصفاتٍ ثلاثٍ ليحظى العقلُ بإدراك جلال الله تعالى وعَظَمته سبحانه كما يليق به جلَّ جلاله، ولا ينازعه الحسُّ، فكان ذلك طريقاً إلى جَذْبِ العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى بيداء أوج كبريائه جلَّ شأنه[1].

وجُوِّزَ أن تكون «ما» عبارةً عن الأمر الذي له بنيت السماء وطحيت الأرض وسُوِّيت النفس من الحِكَم والمصالح التي لا تُحصى، ويكونُ إسنادُ الأفعال إليها مجازاً، وفاعلُ «ألهمها» يجوز أن يكونَ ذلك الأمر[2] ويكون الإسناد مجازاً أيضاً، وهو كما ترى.

والفجور والتقوى على ما أخرج عبد بن حميد وغيره[3] عن الضحاك: المعصيةُ والطاعةُ مطلقاً قَلْبيَّين كانا أو قالبيَّين، وإلهامُهما النفسَ ـ على ما أخرج هو وابن جرير[4] وجماعة عن مجاهد ـ تعريفُهما إياها بحيث تُميِّزُ رُشْدها من ضلالها.

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ١٩١-١٩٢.
(٢) في (م): أمر.
(٣) كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٦.
(٤) في تفسيره ٢٤/ ٤٣٥.

وروي ذلك عن ابن عباس كما في «البحر»[(١)]. وقريبٌ منه قول ابن زيد: «ألهمها فجورها وتقواها»: بيَّنهما لها. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهما نحوه عن قتادة[(٢)].

والآيةُ على ذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وقُدِّمَ الفجورُ على التقوى لأنَّ إلهامه بهذا المعنى من مبادي تجنُّبه، وهو تخليةٌ، والتخليةُ مقدَّمةٌ على التحلية. وقيل: قُدِّمَ مراعاةً للفواصل.

وأُضيفا إلى ضمير النفس قيل: إشارةً إلى أنَّ الملهِمَ للنفس فجورٌ وتقوى قد استعدَّت لهما، فهما لها بحكم الاستعداد، وقيل: رعايةً للفواصل أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ جوابُ القَسَم على ما أخرجه الجماعة عن قتادة[(٣)]، وإليه ذهب الزجاج[(٤)] وغيره، وحَذْفُ اللام كثيرٌ لاسيَّما عند طول الكلام المقتضي للتخفيف، أو لِسَدِّهِ مَسَدَّها.

وفاعلُ «زكّاها» ضميرُ «مَنْ»، والضميرُ المنصوبُ للنفس، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ وتكريرُ «قد» فيه لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه، والإيذانِ بتعلُّق القَسَم به أصالةً.

والتزكية: التنميةُ. والتدسيةُ: الإخفاء، وأصل دسّى: دَسَّسَ، فأُبدل من ثالث المتماثلات[(٥)] ياء، ثم أُبدلتْ ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، وأَطلقَ بعضُهم فقال: أبدل من ذلك حرف علة كما قالوا في تقضَّضَ: تقضَّى. ودَسَّسَ مبالغةٌ في دَسَّ بمعنى أخفى، قال الشاعر:

ودَسَسْتَ عَمْراً في التراب فأصبحتْ حلائلهُ منه أراملَ ضُيَّعا[(٦)]

(١) ٨/ ٤٨١.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٥٦.
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٤، وينظر الدر المنثور ٦/ ٣٥٦.
(٤) في معاني القرآن ٥/ ٣٣١.
(٥) في (م): التماثلات.
(٦) البيت في الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٢٤، وتهذيب اللغة ١٣/ ٤١، وجمهرة اللغة ٣/ ٢٤٢،

وفي «الكشاف»: التزكيةُ: الإنماء والإعلاء، والتدسيةُ: النقص والإخفاء[1]. أي: لقد فاز بكلِّ مطلوبٍ ونجا من كلِّ مكروه، من أنمى نفسَهُ وأعلاها بالتقوى علماً وعملاً، ولقد خَسِرَ مَنْ نَقَصَها وأخفاها بالفجور جهلاً وفسوقاً.

وجُوِّزَ أن تُفَسَّرَ التزكيةُ بالتطهير من دَنَسِ الهَيُوْلَى، والتدسيةُ بالإخفاء فيه والتلوُّث به.

وأيًّاما كان ففي الوعد والوعيد المذكورين مع إقسامه تعالى عليهما بما أقسم به مما يدلُّ على العلم بوجوده تعالى ووجوب ذاته سبحانه وكمال صفاته عزَّ وجلَّ، ويذكِّر عظائِمَ آلائه وجلائل نعمائه جلَّ وعلا، من اللُّطف بعباده ما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ استئنافٌ واردٌ لتقرير مضمون قوله تعالى: (وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)، وجعل الزمخشريُّ قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ) إلخ تابعاً لقوله تعالى: (فَأَلْهَمَهَا) إلخ على سبيل الاستطراد، وأبى أن يكونَ جوابَ القَسَم، وجَعَل الجواب محذوفاً مدلولاً عليه بهذا[2]، كأنه قيل: لَيُدَمْدِمَنَّ الله تعالى على كفَّار مكة لتكذيبهم رسولَ الله ﷺ كما دَمْدَمَ على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام[3]. فقيل: إنَّ ذلك لما يلزمُ من حَذْفِ اللام، وأنه لا يليقُ بالنَّظْم المعجز أن يُجعَلَ أدنى الكمالين ـ أعني التزكية؛ لاختصاصها بالقوة العملية ـ المقصودَ بالإقسام، ويُعرَضُ عن أعلاهما، أعني: التحلية بالعقائد اليقينية التي هي لبُّ الألباب، وزبدةُ ما مخَّضَتْهُ الأحقاب، ولو سُلِّم عدمُ الاختصاص فهي مقدّمة التحلية في البابين، وأما حَذْفُ المقسَمِ عليه فكثيرٌ شائعٌ لاسيما في الكتاب العزيز.

وتُعقِّبَ بأنَّ حَذْفَ اللام كثيرٌ لاسيما مع الطول، وهو أسهلُ من حَذْفِ الجملة

---

= ومقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٧٧، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣١٥، وهو في هذه المصادر برواية: وأنت الذي دسيت عمراً، وذكر رواية المصنف أبو حيان في البحر ٨/ ٤٧٧. وقال ابن دريد عن البيت: زعم أبو حاتم أنه مصنوع.

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

(٢) في هامش الأصل: وقيل: هو محذوف تقديره: لتبعثن. وليس بشيء.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

بتمامها، وقد ذكره في «قد أفلح المؤمنون»[1] فما عدا[2] مما بدا، وأنَّ التزكية مراداً بها الإنماءُ لا اختصاصَ لها، وليست مقدَّمةً بل مقصودة بالذات، ولو سُلِّمَ فلا مانع من الاعتناء ببعض المقدِّمات أحياناً لتوقُّفِ المقاصد عليها، فتدبر.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه قال في «فألهمها»: ألزمها[3]. وأخرجه الديلميُّ عن أنسٍ مرفوعاً[4]. وعلى ذلك قال الواحديُّ[5] وصاحب «المطلع»: الإلهام أن يُوقِعَ في القلب التوفيق والخذلان، فإذا أوقعَ سبحانه في قلب عبدٍ شيئاً منهما فقد ألزمه سبحانه ذلك الشيء.

ويزيد ذلك قوةً ما أخرجه البخاريُّ ومسلم وأبو داود عن عمران بن حصين أنَّ رجلين من مزينة أتيا رسولَ الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيتَ ما يعملُ الناسُ ويَكدَحون فيه، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم مِنْ قَدَرٍ قد سَبَق، أو فيما يُستقبَلون به مما أتاهم به نبيُّهم وثَبَتَتِ الحُجَّةُ عليهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا، بل شيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾»[6].

ولا يقتضي ذلك أن لا يكون لقدرة العبد واختياره مدخلٌ في الفجور والتقوى بالكلية ـ وإن قيل: إنَّ مآله إلى خلق الله تعالى إياهما ـ ليقال: يأباه حينئذٍ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ إلخ حيث جُعل فيه العبدُ فاعلَ التزكية بالتقوى،

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) في الأصل و(م): حدا، والمثبت هو الصواب، والكلام مَثَل مشهور، وهو: ما عدا مما بدا، ومعناه: ما مَنَعَك مما ظهر لك أولاً. مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٩٦.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٥٦.

(٤) الفردوس ٣/ ١٥٤، وفي إسناده مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، قال عنه أبو حاتم: ضعيف. الميزان ٤/ ٢٢٩.

(٥) في الوسيط ٤/ ٤٩٥.

(٦) الحديث بهذا اللفظ في صحيح مسلم (٢٦٥٠)، وهو في صحيح البخاري (٦٥٩٦)، وصحيح مسلم (٢٦٤٩)، وسنن أبي داود (٤٧٠٩) بلفظ: قيل: يا رسول الله، أعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم» قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال «كل ميسر لما خلق له» هذا لفظ مسلم وأبي داود، وفي البخاري: «كل سيعمل لما خُلق له، أو لما يُيَسَّر له».

والتدسية بالفجور؛ لأنَّ الإسنادَ يقتضي قيامَ المسنَدِ ويكفي فيه المدخليةُ المذكورةُ، ولا يتوقَّفُ صحةُ الإسناد حقيقةً إلى العبد على كون فعله الإيجاد، فالاستدلالُ بهذا الإسناد على كونه متمكِّناً من اختيار ما شاء من الفجور والتقوى، وإيجاده إياه بقدرةٍ مستقلةٍ فيه على خلاف ما يقوله الجماعة، ليس بشيءٍ، على أنَّ الضميرَ المستترَ في «زكّاها» وكذا في «دسّاها» لله عزَّ وجلَّ، والبارزَ لـ «مَنْ» بتأويل النفس، فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في ذلك: يقول الله تعالى: قد أفلحَ مَنْ زكَّى اللهُ تعالى نفسَهُ فهداه، وقد خاب مَنْ دسَّى الله تعالى نفسَهُ فأضلَّه[1].

بل أخرج عنه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الآية: «أفلحتْ نفسٌ زكّاها الله تعالى، وخابتْ نفسٌ خيَّبها الله تعالى من كلِّ خيرٍ»[2].

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة ومسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَنْ زكّاها، أنت وَليُّها ومولاها»[3].

وفي رواية الطبراني وغيره عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام إذا تلا هذه الآية وقف وقال ذلك[4].

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٣، ٤٤٥، والدر المنثور ٦/ ٣٥٧.

(٢) الفردوس للديلمي ٣/ ٢١١، والدر المنثور ٦/ ٣٥٧.

(٣) أحمد (١٩٣٠٨)، وابن أبي شيبة ١٠/ ١٨٦، ومسلم (٢٧٢٢)، والنسائي في المجتبى ٨/ ٢٦٠.

(٤) المعجم الكبير (١١١٩١)، وجاء في هامش الأصل: وفيه: وهو عليه الصلاة والسلام في الصلاة. اهـ. وقد وردت هذه الزيادة في رواية أخرى أخرجها الشهاب في مسنده (١٤٨١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وإسناده ضعيف، وأخرج أحمد (٢٥٧٥٧) بإسناد رجاله ثقات من حديث عائشة ﷺ أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «رب أعط نفسي تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

ولهذه الأخبار ونحوها قال بعضُهم: إنَّ ذلك هو المرجَّح، ورجَّحه صاحب «الانتصاف»[١] بأنَّ الضمائرَ في «والسماء وما بناها» إلخ تكونُ عليه مُتَّسقةً عائدةً كلّها إلى الله تعالى، وبأنَّ قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا) أوفقُ به؛ لأنَّ «تزكَّى» مطاوعُ «زكَّى» فيكون المعنى: قد أفلح مَنْ زكَّاه الله تعالى فتزكَّى.

ومع هذا كلّه لا ينبغي أن يُنكَرَ أنَّ المعنى السابق هو السابقُ إلى الذهن، وما ذُكِرَ من الأخبار ليس نصًّا في تعيين المعنى الآخر، نعم هو نصٌّ في تكذيب الزمخشريِّ في زَعْمه أنه من تعكيس القدرية، يعني بهم أهلَ السنة والجماعة، فتأمل.

والطَّغوى مصدرٌ من الطغيان بمعنى تجاوزِ الحدِّ في العصيان، فصلوا بين الاسم والصفة في فَعْلَى من بنات الياء بأن قلبوا الياءَ واواً في الاسم، وتركوا القلبَ في الصفة، فقالوا في الصفة: امرأةٌ صَدْيا وخَزْيا، وفي الاسم: تَقْوى وطَغْوى. كذا في «الكشاف»[٢] وغيره، وكلامُ الراغب[٣] يدلُّ على أنَّ «طغى» واويٌّ ويائيٌّ، حيث قال: يقال: طَغَوْتُ وطَغَيْتُ طُغْواناً وطُغْياناً. فلا تغفل.

والباء عند الجمهور للسببية، أي: فعلتِ التكذيبَ بسبب طُغيانها، كما تقول: ظلمني الخبيثُ بجرأته على الله تعالى، وجعلها الزمخشريُّ للاستعانة[٤]، والأمر سَهْلٌ.

وجُوِّزَ أن تكونَ صلةً للتكذيب، على معنى: كذَّبتْ بما أُوعِدَتْ به في لسان نبيِّها من العذاب ذي الطَّغوى، أي: التجاوز عن الحدِّ والزيادة، ويُوصَفُ العذابُ بالطغيان بهذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] وقد يُوصَفُ بالطَّغوى مبالغةً كما يُوصَفُ بسائر المصادر، لذلك فلا يكونُ هناك مضافٌ محذوفٌ.

---

(١) بهامش الكشاف ٤/ ٢٥٩.
(٢) ٤/ ٢٥٩.
(٣) في المفردات (طغى).
(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٩.

وقرأ الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة: «طُغْواها» بضم الطاء[(١)]، وهو مصدرٌ أيضاً كالرُّجْعَى والحُسْنى في المصادر، إلا أنه قيل: كان القياس الطُّغيا كالسُّقيا؛ لأنَّ فُعْلى بالضَّمِّ لا يُفرَّقُ فيه بين الاسم والصفة، كأنهم شذُّوا فيه فقلبوا الياءَ واواً، وأنت تعلم أنَّ الواو عند مَنْ يقول: طَغوْتُ، أصليةٌ.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ متعلِّقٌ بـ «كذَّبتْ» أو بـ «طَغْوى»، و«انبعث» مطاوعُ: بَعَثَهُ بمعنى أرسله، والمراد: إذ ذهب لِعَقْرِ الناقة.

﴿أَشْقَىٰهَا﴾ أي: أشقى ثمود وهو قُدار[(٢)] بن سالف، أو هو ومَنْ تصدَّى معه لِعَقْرِها من الأشقياء: اثنان ـ على ما قال الفراء[(٣)] ـ أو أكثر؛ فإنَّ أفعلَ التفضيل إذا أُضيف إلى معرفةٍ يصلحُ للواحد والمتعدِّد والمذكَّر والمؤنَّث. وفَضْلُ شقاوتهم على مَنْ عَدَاهم لمباشرتهم العَقْرَ مع اشتراك الكلِّ في الرضا به، ولخبائثَ غير ذلك يعلمها الله تعالى فيهم هي فوق خبائث مَنْ عداهم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ أي: لثمود، أو لأشقاها على ما قيل بناءً [على][(٤)] أنَّ المرادَ به جمعٌ، ولا يأباه «وسُقياها» كما لا يخفى.

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ هو صالح عليه السلام، وعبَّر عنه بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعته، وبياناً لغاية عُتوِّهم وتماديهم في الطغيان، وهو السِّرُّ في إضافة الناقة إليه تعالى في قوله سبحانه: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ وهو نَصْبٌ على التحذير. وشَرْطُهُ ليس تكريرَ المحذَّر منه، أو كونه محذَّراً ممَّا بعده[(٥)] فقط، ليقال: هو منصوبٌ بتقدير: ذروا،

(١) القراءات الشاذة ص١٧٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٣، والكشاف ٤/ ٢٥٩، والبحر ٨/ ٤٨١.
(٢) في هامش الأصل: بوزن غلام ومعناه الجزار.
(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٨.
(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٥) مثل: إياك والشر، والتكرير مثاله: الكذب الكذب، فالاسم المذكور في النوع الأول يكون محذَّراً، وما بعده محذَّراً منه، وفي النوع الثاني يكون محذَّراً منه، ويكون المحذَّر محذوفاً دائماً. ووقع في الأصل و(م): بما بعده، والمثبت هو الصواب. ينظر دستور العلماء للأحمدنَكِري ١/ ٢٧٧، وحاشية الشهاب ٨/ ٣٦٧.

أو: احذروا، لا على التحذير = بل شرطه ذاك، أو العطفُ عليه كما هنا على ما نصَّ عليه مكيٌّ، والكلامُ على حَذْفِ مضافٍ، أي: احذروا عَقْرَ ناقة الله، أو المعنى على ذلك وإن لم يُقدَّرْ في نَظْمِ الكلام.

وجُوِّزَ أن يكونَ التقديرُ: عَظِّموا أو الزموا ناقةَ الله. وليس بشيءٍ.

﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: واحذروا سُقياها، فلا تتعرَّضوا بمنعها عنها في نوبتها، ولا تستأثروا بها عليها.

وقيل: الواو للمعية، والمراد: ذروا ناقةَ الله مع سُقْياها، ولا تَحُولوا بينهما. وهو كما ترى.

وقرأ زيد بن علي: «ناقةُ الله» بالرفع، فقيل: أي: هَمُّكم ناقةُ الله وسُقياها، فلا تعقروها، ولا تستأثروا بالسُّقيا عليها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: في وعيده إياهم كما حكى عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣] فالتكذيبُ لخبرٍ مقدَّرٍ، ويجوز أن يكونَ لخبرٍ تضمَّنه الأمرُ التحذيريُّ السابقُ، وهو الخبرُ بحلول العذاب إن فعلوا ما حذَّرهم منه.

وقيل: إنَّ ما قاله لهم من الأمر قاله ناقلاً له عن الله تعالى كما يُؤْذِنُ بذلك التعبيرُ عنه عليه السلام بعنوان الرسالة، ومآلُ ذلك أنه قال لهم: إنه قال الله تعالى: ناقة الله وسقياها. فالتكذيبُ لذلك. وهو وجهٌ لا بأس به.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: فنحروها، أو فقتلوها، وضميرُ الجمع للأشقى، وجَمْعُهُ على تقدير وَحْدته لرضا الكلِّ بفعله. قال قتادة: بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذَكَرُهم وأُنثاهم[1].

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ فأطبقَ عليهم العذاب، وقالوا: دمدم عليه القبر، أي: أطبقه، وهو مما تكرَّرَ فيه الفاء، فوزنه فَعْفَلَ، لا فَعْلَلَ، من قولهم: ناقةٌ مدمومةٌ،

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٥٠.

إذا لَبِسَها الشحمُ وغَطَّاها. وقال في «القاموس» معناه: أتمَّ العذابَ عليهم[١]. وقال مؤرِّج: الدمدمةُ: إهلاكٌ باستئصال. وفي «الصحاح»[٢]: دمدمتُ الشيءَ: ألزقته بالأرض وطحطحته.

وقرأ ابن الزبير: «فَدَهْدَمَ» بهاءٍ بين الدالين[٣]، والمعنى كما تقدم.

﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بسبب ذنبهم المحكي، والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنذار بعاقبة الذنب ليعتبرَ به كلُّ مذنب.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ الضمير للدمدمة المفهومة من دَمْدَمَ، أي: فجعل الدمدمةَ سواء بينهم، أو جعلها عليهم سواء فلم يُفلِتْ سبحانه منهم أحداً، لا صغيراً ولا كبيراً، أو هو لثمود، والتأنيثُ باعتبار القبيلة كما في «طَغْواها» و«أشقاها» والمعنى ما ذُكِرَ أيضاً، أو: فسوَّاها بالأرض.

﴿وَلَا يَخَافُ﴾ أي: الربُّ عزَّ وجلَّ ﴿عُقْبَٰهَا﴾ أي: عاقبتها وتَبِعَتها كما يخاف المعاقِبون من الملوك عاقبةَ ما يفعلونه وتَبِعَته، وهو استعارةٌ تمثيليةٌ لإهانتهم وأنهم أذلّاءُ عند الله جلَّ جلاله، والواو للحال أو للاستئناف.

وجُوِّزَ أن يكون ضميرُ «لا يخاف» للرسول، والواو للاستئناف لا غير على ما هو الظاهر، أي: ولا يخاف الرسولُ عقبى هذه الفعلة بهم إذ كان قد أنذرهم وحذَّرهم.

وقال السديُّ والضحاك ومقاتل والزجاج وأبو علي[٤]: الواو للحال، والضمير عائدٌ على «أشقاها» أي: انبعثَ لِعَقْرِها وهو لا يخافُ عُقبى فعله؛ لكفره وطغيانه. وهو أبعدُ مما قبله بكثير.

---

(١) ينظر القاموس (دمم)، وحاشية الشهاب ٨/ ٣٦٧.

(٢) مادة (دمم).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، والبحر ٨/ ٤٨٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣، والحجة لأبي علي ٦/ ٤٢٠، والكلام من البحر ٨/ ٤٨٢.

وقرأ أبيٌّ والأعرج ونافع وابن عامر: «فلا يخاف» بالفاء[1]، وقرئ: «ولم يخف» بواوٍ وفعلٍ مجزومٍ بـ «لم»[2].

هذا واختلف في هؤلاء القوم، هل آمنوا ثم كفروا، أو لم يؤمنوا أصلاً، فالجمهور على الثاني، وذهب بعضٌ إلى أنهم آمنوا وبايعوا صالحاً مدَّةً، ثم كذَّبوه وكفروا، فأُهلكوا بما فُصِّلَ في موضعٍ آخر.

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين قُدِّسَ سِرُّهُ في «فصوصه»: إنهم وقومَ لوطٍ عليه السلام لا نجاةَ لهم يوم القيامة بوجهٍ من الوجوه. ولم يساو غيرَهم من الأمم المكذِّبة المُهْلَكة في الدنيا كقوم نوح عليه السلام بهم، ولكلامه قُدِّسَ سِرُّهُ أهلٌ يفهمونه فارجع إليهم في فهمه إن وجدتهم.

❁ ❁ ❁

وذكر بعضُ أهل التأويل أنَّ الشمسَ إشارةٌ إلى ذاتِ واجبِ الوجود سبحانه وتعالى، وضحاها: إشارةٌ إلى الحقيقة المحمدية، والقمر: إشارةٌ إلى ماهية الممكن المستفيدة للوجود من شمس الذات، والنهار: إشارةٌ إلى العالم بسائر أنواعه الذي ظهرتْ به صفاتُ جمال الذات وجلاله وكماله، والليل: إشارةٌ إلى وجود ما يُشاهَدُ من أنواع الممكنات الساتر في أعين المحجوبين للوجود الحق، والسماء: إشارةٌ إلى عالَم العقل، والأرض: إشارةٌ إلى عالم الجسم، والنفسُ معلومةٌ، وناقةُ الله: إشارةٌ إلى راحلةِ الشوق الموصلة إليه سبحانه، وسقياها: إشارةٌ إلى مَشْرَبها من عين الذكر والفكر.

وقال بعضٌ آخرُ: الشمس إشارةٌ إلى الوجود الحقِّ الذي هو عينُ الواجب تعالى، فهو أظهرُ من الشمس ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وقال شيخُ مشايخنا البندنيجي قُدِّسَ سِرُّهُ:

ظاهرٌ أنتَ ولكن لا تُرى ... لعيونٍ حجبتها النقط

---

(١) التيسير ص٢٢٣، والنشر ٢/ ٤٠١ عن نافع وابن عامر، والكلام من البحر ٨/ ٤٨٢.
(٢) القراءات الشاذة ص١٧٤، والكشاف ٤/ ٢٦٠، والرازي ٣١/ ١٩٧.

وضحاها: إشارةٌ إلى أول التعينات بأيٍّ اسم سمَّيته، والقمرُ إشارةٌ إلى الأعيان الثابتة المفاضَةِ بالفيض الأقدس، أو الشمسُ إشارةٌ إلى الذات، وضحاها إشارةٌ إلى وجودها، والإضافةُ للتغاير الاعتباري، والقمرُ إشارةٌ إلى أول التعيُّنات، والنهارُ إشارةٌ إلى الممكنات المفاضة بالفيض المقدَّس، والليلُ إشارةٌ إليها أيضاً باعتبار نظر المحجوبين، أو النهارُ إشارةٌ إلى صفة الجمال، والليلُ إشارةٌ إلى صفة القهر والجلال، والسماءُ إشارةٌ إلى عالم اللطافة، وذِكْرُ النفس بعدُ مع دخولها في هذا العالم للاعتناء بشأنها، والأرضُ إشارةٌ إلى عالم الكثافة، وناقةُ الله إشارةٌ إلى الطريقة، وسقياها مشربها من عين الشريعة.

وقيل غيرُ ذلك، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.

# ( سورة الشمس )

## (مكيّة، وهي خمس عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ **(وضوئها إذا أشرقت)** وقام سلطانها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣﴾ جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه، لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء. وقيل: الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: الآية ٤٥] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤﴾ يستر الشمس فتظلم الآفاق. والواو الأولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق، وكذا الثنية عند البعض. **(وعند الخليل)**: الثانية للعطف لأن إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا

---

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**قوله:** **(سورة الشمس، مكيّة، وهي خمس عشرة آية)** أو أربع وخمسون كلمة ومئتان وسبعة وأربعون حرفًا. **قوله:** **(وضوئها إذا أشرقت)** أي ارتفعت وانبسط نورها. **قوله:** **(وعند الخليل)** هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كان

يجوز، ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو «ثم» لكان المعنى على حاله؟ وهما حرفا عطف فكذا الواو. ومَن قال: إنها للقسم احتجّ بأنها لو كانت للعطف (**لكان عطفًا على عاملين**)، لأن قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ مثلًا مجرور بواو القسم و«إذا يغشى» منصوب بالفعل المقدّر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في «والنهار إذا تجلى» للعطف لكان النهار معطوفًا على الليل جرًّا، و«إذا تجلى» معطوفًا على «إذا يغشى» نصبًا فصار كقولك: إن في الدار زيدًا أو في الحجرة عمرًا. (وأجيب) بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز إبراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبًا وجرًّا، وصارت كعامل واحد له عملان، وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو: ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا، فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما، فكذا هنا.

---

إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض. وأخرجه إلى الوجود وأخباره كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويُقال: إن أباه أحمد أول مَن تَسَمَّى بأحمد بعد رسول الله ﷺ تُوفي سنة سبعين وقيل: خمس وسبعين ومائة.

**قوله:** (لكان عطفًا[١] على عاملين) أي على معمول عاملين مختلفين وهو لا يجوز. وهذا من مسامحات النحاة وهو بتقدير المضاف. **قوله:** (وأجيب. . .) الخ **عبارة تفسير الكشّاف،** فإن قلت: الأمر في نصب «إذا» معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجرّ فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرٍو وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه. قلت: الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل إطراحًا كلها فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معًا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحُقِقْن أن يكنّ عوامل عمل الفعل والجار جميعًا كما تقول ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهت بحروفها.

---

(١) اتبع النحاة في هذه العبارة وفيها مضاف مقدر تقديره على معمولي عاملين مختلفين. هـ. شهاب رحمه الله ١٢ منه رحمه الله تعالى.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾

و«ما» مصدريّة في ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧﴾ أي وبنائها وطحوها أي بسطها وتسوية خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ (**لما فيه من فساد النظم**)، والوجه أن تكون موصولة (**وإنما أوثرت على «من» لإرادة معنىٰ الوصفية**) كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس والحكيم (**الباهر**) الحكمة الذي سواها. وإنما نكرت النفس (**لأنه أراد نفسًا خاصة**) من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال:

---

**قوله**: (**لما فيه من فساد النظم**) وذلك أنه على تقدير أن تكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لأنه يكون تقدير الكلام حينئذٍ ونفس وتسويتها فألهمها ولا خفاء في ركاكة هذا النظم ويمكن أن يقال: لا بعد في أن تجعل ما مصدرية ويكون ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ عطفًا على سواها بأن يكون هو أيضًا في تأويل المصدر على معنى وتسويتها فإلهامها فجورها غاية ما في الباب أن يكون فألهمها كالأفعال السابقة وهي ﴿بَنَاهَا﴾ و﴿طَحَاهَا﴾ و﴿سَوَّاهَا﴾ في تجردها عن الفاعل ويلتزم أن يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به. فإن قيل: الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية يكون قبل نفخ الروح والإلهام يكون بعد البلوغ فيختلّ انتظام الإلهام المصدّر بالفاء بما قبله على تقدير أن تكون ما مصدريّة. قلنا: التسوية عبارة عن تعديل الأعضاء والقوى الإدراكية وذلك إنما يكون بعد البلوغ ويدلّ عليه كون الصبيّ محجورًا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلّف بالأحكام الشرعية وإلهام الفجور والتقوى عن إفهامهما وإعقالهما وتعريف حالهما من حيث إن أحدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهملة. اهـ شيخ زاده رحمة الله عليه. **قوله**: (**وإنما أوثرت على «من» لإرادة معنى الوصفية**) بما ضمنا وإن لم يوصف بلفظها إذ المراد أنها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: الآية ٣]. وقدّروها بانكحوا الطيب وهذا تتفرد به ما دون من. اهـ خطيب رحمه الله. **قوله**: (**الباهر**) في مختار الصحاح بَهَرَه غلبه وبابه قطع. اهـ. **قوله**: (**لأنه أراد نفسًا خاصة...**) الخ والتنكير للتعظيم.

وواحدة من النفوس، أو أراد كل نفس، والتنكير للتكثير كما في ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الانفطار: الآية ٥] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ جواب القسم **(والتقدير: لقد أفلح)**، قال **(الزَّجَّاج)**: صار طول الكلام عوضًا عن اللام. وقيل: الجواب محذوف وهو الأظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحًا، وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء ﴿مَن زَكَّاهَا﴾ طهّرها الله وأصلحها وجعلها زاكية.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ أغواها الله، قال **(عكرمة)**: أفلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس أغواها الله. ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد. والتدسية، النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسّى دسس، **(والياء بدل من السين المكرّرة)**.

---

**قوله: (والتقدير: لقد أفلح)** لأن الماضي يقترن بقد واللام في الأغلب. **قوله: (الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوي توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله، وقد أناف على ثمانين سنة.

**قوله: (عكرمة)** بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة ابن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا يثبت عنه بدعة، مات سنة سبع ومائة وقيل: بعد ذلك. **قوله: (والياء بدل من السين المكررة)** وفي السمين أصله دسسها بثلاث سينات فلما كثرت الأمثال أبدلوا من ثالثها حرف علّة وهو هنا الألف. اهـ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ **(بطغيانها)** إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ حين قام **(بعقر الناقة)** ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ أشقى ثمود **(قدار)** بن سالف وكان **(أشقر أزرق)** قصيرًا. و«إذ» منصوب بـ ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو بالطغوى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على التحذير أي احذروا **(عقرها)** ﴿وَسُقْيَـٰهَا﴾ كقولك: الأسد.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدًا لقوله: (﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾) [القمر: الآية ٢٩]. لرضاهم به (﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ **أهلكهم**

---

**قوله: (بطغيانها)** يعني أن الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان إلا أن الطغوى لما كان أشبه برؤوس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وإن كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول ﴿كَذَّبَتْ﴾ محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيّها صالحًا عليه السلام بسبب طغيانها. **قوله: (بعقر الناقة)** في المغرب عَقر الناقة بالسيف ضرب قوائمها. اهـ. **قوله: (قدار)** بوزن غراب اسم من عقر الناقة ومعناه جزار وفي الكمالين قذار بالذال المعجمة أصح. **قوله: (أشقر)** في المصباح الشقرة من الألوان حمرة تعلو بياضًا في الإنسان وحمرة صافية في الخيل. قاله ابن فارس وشقر شقرًا من باب تعب فهو أشقر والأنثى شقراء والجمع شقر. اهـ. **قوله: (أزرق)** في المصباح الزُّرقة من الألوان والذكر أزرق والأنثى زرقاء والجمع زرق مثل أحمر وحمراء وحمر. اهـ. وفي لسان العرب الزرقة خُضْرة في سواد العين. اهـ. **قوله: (عقرها)** إشارة إلى تقدير المضاف إليه أو بيان للمراد من غير تقدير فيه.

**قوله:** (﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾) قدار ليقتلها (﴿فَتَعَاطَىٰ﴾) تناول السيف (﴿فَعَقَرَ﴾) به الناقة أي قتلها موافقة لهم. اهـ جلالين. **قوله:** (﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ **أهلكهم**

**إهلاك استئصال)** ﴿بِذَنۢبِهِمۡ﴾ بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فسوىٰ الدمدمة عليهم **(فلم يفلت)** منها صغيرهم ولا كبيرهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾ ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أي فعل ذلك غير خائف أن تلحقه **(تبعة)** من أحد كما يخاف مَن يعاقب من الملوك، لأنه فعل في ملكه وملكه ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ (وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ) ۝٢٣﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣]، (﴿**فلا يخاف**﴾ **مدني وشامي)**.

---

**إهلاك استئصال)** في الخازن أي فدمّر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال. **قوله**: **(فلم يفلت)** من باب ضرب أي فلم يخلص. **قوله**: **(تبعة)** التبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿**وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ**﴾) عن أفعالهم. **قوله**: (﴿**فلا يُخاف**﴾) بالفاء وضم الياء **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ والباقون بالواو وفتح الياء فالفاء تقتضي التعقيب والواو يجوز أن تكون للحال وأن تكون للاستئناف الإخباري.

**تمّت سورة الشمس بحمد الله وعونه**

**وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم**